
ليلة ماطرة
أسامة المسلم
t.me/twinkling4

ليلة ماطرة

ح مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المسلم، أسامة محمد
ليلة ماطرة. / أسامة محمد المسلم - ط ١ - الدمام، ١٤٤٥ هـ
ردمك: ٨-٧٧-٣-٨٤٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- القصص العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣، ٠٣٩٥٣١ ١٤٤٥/١٠١
رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٠١
ردمك: ٨-٧٧-٣-٨٤٠٣-٦٠٣-٩٧٨

مصمم الغلاف: @ahmedmss
خط الغلاف: مازن الأحمد



مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع
الموقع الإلكتروني:
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

مسؤول النشر:
للتواصل
0597777444

المملكة العربية السعودية - الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172



الروائي

أسامة المسلم

@osamahalmuslim

@osamahalmuslim

Komontage

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

ميساء طه.
أشرف غالب.

من المحزن ألا تعرف قيمة نفسك إلا عندما يخبرك شخص آخر بذلك.. أحياناً نفقد الإحساس بذواتنا ولا نعي أهمية وجودنا حتى يثار ذلك الاهتمام من الغير.. من أشخاص قد لا نعرفهم .. أو أحداث لم نتوقعها أو نسعَ لها..

أسامة المسلم





كل معتم مجهول..







والنفق نحو أي نور مظلم..









وأغلب الخواتيم سوء..

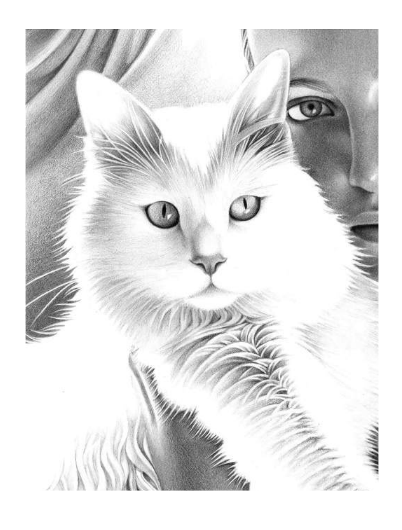








بذرة العناب



حل فصل الشتاء قبل أيام .. جالباً معه البرد والبلل ..

تقف فتاة عند بابه تحت سماء ملبدة بغيوم كثيفة تبرق وترعد..

تبحث في حقيبتها على عجالة بينما المطر ينهمر فوق رأسها بغزارة ..

تحدث نفسها بتذمر قائلة:

«كان قرار تصفيف شعري هذا اليوم بالصالون غير موفق.. »

زفرت الفتاة بقوة حينما تذكرت أنها نسيت مفاتيحها في سيارتها الفارهة المركونة خلفها بجانب المنزل فسارت بخطوات بطيئة نحوها بعد ما أدركت أنها لن تتمكن من إنقاذ شعرها الذي تبلل





بالكامل. فتحت السيارة ورأت أن المفاتيح مرمية على مقعدها فالتقطتها وأغلقت الباب وعادت أدراجها ودخلت المنزل ملقية بحقيبتها على الأرض ساحبة وشاح عنقها خالعة جزءاً من ملابسها رامية بنفسها على الأريكة التي توسطت غرفة المعيشة وصوت قطرات المطر تطرق بقوة على النافذة بجانب المدخل.

غرفة المعيشة تلك كانت بيضاء بالكامل فكل أثاثها وسجادها بلون أبيض ناصع وكأن المكان قد اكتسى بالثلج. حدقت الفتاة أمامها بوجهٍ محبط لكنها تبسمت حينما نزل قط أبيض سمين من الطابق العلوي وتوجه نحوها وهو يموء وقفز في حجرها. احتضنت الفتاة القط وقبلته عدة مرات على رأسه باسمة وهي تقول: هل افتقدتني حقّاً أم أنك جائع فقط؟

استمر القط بالمواء ومسح رأسه بوجه الفتاة حتى ضحكت قائلة:

«حسنا يا (ليو) فهمت.. سوف أعد لك الطعام..»

حملته على صدرها وتوجهت به للمطبخ ووضعته على أرضه وبدأت بتجهيز وجبته وهو يراقبها ويحرك ذيله المنتصب للأعلى يميناً وشمالاً. بدأ القط بتناول طعامه حينما وُضع أمامه وبقيت هي تراقبه باسمة حتى انقطع سرحانها بصوت هاتف أرضي يرن وسط غرفة المعيشة. توجهت الفتاة للهاتف المستقر فوق الطاولة الصغيرة بجانب أريكتها ورفعت السماعة مجيبة.





صوت رجل من الطرف الآخر يحدثها مؤنباً:

«أخيراً عدتِ يا (ديم)... »

(ديم) جالسة على الأريكة مبتسمة: أنا لم أتأخر لهذا الحد يا أبي!

- هل تعرفين كم الساعة الآن؟

(ديم) رافعة نظرها لساعة حائط معلقة: بقي عشر دقائق على الحادية عشرة

- وهل هذا وقت مبكر للعودة للمنزل؟

(ديم) بنبرة متوددة: وما هو الوقت المبكر بنظرك يا أبي؟

- هل تعرفين أنكِ كنتِ ستجدينني واقفاً عند بابكِ لو لم تجيبي على اتصالي هذا؟

(ديم) ضاحكة: بل ستكون عندي بعد ساعتين.. هل نسيت أني بمدينة أخرى؟

- وهذا ما يزعجني.. ألا تعرفين كم أقلق عليكِ وأنتِ بعيدة عن ناظري؟





(ديم) متجاهلة سؤال أبيها: أخبرني .. كيف حالك اليوم؟

- أصبحت بخير بعد ما اطمأننت عليكِ.. كيف هي الأجواء عندكم؟

(ديم): ممطرة كالعادة..

- سمعت في النشرة الجوية أن الأمطار اليوم في مدينتكم أقوى من المعتاد

(ديم) موجهة نظرها للنافذة: لا أبداً.. لا شيء خارج عن المألوف وما اعتدنا عليه

- أخبريني الآن كيف هي أمور الجامعة معكِ؟

(ديم): جيدة..

- بل ممتازة .. أنا أتابع نتائجك بشكل دوري وبالوتيرة التي تسيرين عليها ستتخرجين قبل الموعد المحدد

(ديم) باسمة: أنا ما زلت في السنة الأولى يا أبي

- وأنتظر بفارغ الصبر أن تنتهي منها وتعودي لي

(ديم) ممازحة: وما أدراك أني لا أريد إكمال دراستي للحصول على شهادة عليا؟





- وقتها سنخوض نقاشاً طويلاً مثل الذي دار بيننا حينما قررتِ الالتحاق بهذه الجامعة البعيدة

(ديم): أنت تقلق عليّ كثيراً.. أنا الآن راشدة ولم أعد بحاجة لهذا النوع من الاهتمام

- مهما كبرتِ ستبقين دوماً ابنتي الصغيرة التي أقلق وأخاف عليها..

(ديم): تخاف عليّ من ماذا يا أبي؟

- أعدائي كثر وهم لا يجرؤون على التعرض لي لكنهم قد ينتقمون مني من خلالك .. أصعب قرار اتخذته في حياتي هو تركك ترحلين عن مدينتنا وتبتعدين عن الأمان معي

(ديم): تقصد السجن الذي كنت أعيش فيه؟

- سجن؟ .. لقد عشتِ حياة لا تحلم بها أي فتاة أخرى

(ديم): صحيح.. أجبرتني على الدراسة المنزلية منذ عمر صغير وحرمتني من إقامة صداقات وعلاقات طبيعية مع الناس ناهيك عن الحراس الملاصقين لي في كل مكان أذهب إليه

- بالحديث عن الحراس.. لمَ طلبتِ من (كمال) أن يعود؟

(ديم): لأني أرغب أن أكون وحدي وهو يخيف أصدقائي الذين أجتمع ويرغبون بزيارتي هنا





- يخيفهم؟ .. هل تعدى حدوده معكِ؟ . . أخبريني كي أعاقبه!

(ديم): بالعكس يا أبي .. (كمال) معي منذ أن كنت طفلة صغيرة وعلى الرغم من عدد الحراس الكُثر الذين مروا وتعاقبوا عليّ خلال حياتي كان هو أفضلهم فهو خلوق جداً ولا يرفع نظره عن الأرض عندما أمر بجانبه أو يفتح لي باب السيارة ولا يبقى بالقرب مني حينما أخرج لمكان عام، بل يبقى بعيداً كي يعطيني خصوصيتي

-إذاً لماذا لا تريدينه أن يبقى بجانبكِ؟ .. اعتبريه سائقاً خاصاً وليس حارساً شخصياً

صمتت (ديم) ولم تجب..

- ماذا؟ .. أخبريني

(ديم): في الحقيقة.. أصدقائي لا يحبونه

- أصدقاؤكِ؟ .. وما شأنهم به؟

(ديم): يقولون إنه يخيفهم ويثير توترهم بسبب ضخامته ونظراته الحادة

- لقد قلتِ للتو إنه لا ينظر لكِ





(ديم): لا ينظر لي أنا.. لكنه يثقب بأعينه الحادة كل من يقترب مني أو يحاول الحديث معي.. وكأنه مفترس يتحين لحظة الانقضاض على فريسته

- هذا واجبه

(ديم): لكن ذلك يضايق أصدقائي.. وكما تعرف هذه أول مرة أحظى فيها بأصدقاء ولا أريد إفساد الأمر بسبب أسلوب حياتي الغريب

- لا تأخذيه معكِ حينما تخرجين لكن أبقيه حولكِ.. وجود (كمال) بجانبكِ يشعرني بالارتياح

(ديم): صدقني يا أبي أنا لا أحتاج أي حراسة.. أهل هذه المدينة طيبون والحي الذي اخترته لي راقٍ جداً وأنا نادراً ما أخرج وأوقات خروجي مع أصدقائي خلال الشهر تعد على الأصابع

صوت خرير خفيض..

ما هذا الصوت ..؟!

ضحكت (ديم) ومسحت على رأس قطها الذي قفز في حجرها بعد ما انتهى من تناول طعامه: هذا (ليو)!

- السمين؟ (ديم)





وهي تقبل رأس (ليو) وتفرك أنفها به: لا تقل عنه ذلك وتجرح مشاعره فهو لا يزال صغيراً

- صغيراً؟ .. حجمه حجم نمر بالغ

(ديم): ماذا لو أخبرتك بأنه أكمل شهره الخامس فقط منذ عدة أيام؟

- سأقول لكِ توقفي عن إطعامه قبل أن يفترسكِ أنتِ فهو بهذا الوزن لن يكتفي بما تقدمينه له

(ديم) ضاحكة: (ليو) ليس سميناً!.. هو فقط يأكل بدافع الملل لأني أتركه أوقاتاً طويلة وحده في المنزل

- كنت أظنك لا تخرجين كثيراً؟

(ديم): أبي.. كن سعيداً لي فقط.. أرجوك

- حسناً.. هل وصلتكِ هديتي؟

(ديم): أي هدية منها؟.. أنت ترسل لي هدايا كثيرة بين الحين والآخر .. وأعرف السبب وراء ذلك

- لا يوجد سبب سوى أني أحبك





(ديم): وكي يطمئنك الشخص الذي يوصل الهدايا عني بحجة إيصال الهدية لأنك تعرف أني لا أحب أن يأتي أحد من طرفك للاطمئنان علي

- وهل تلومينني؟.. فأنتِ من لا يريد اقتناء هاتف محمول ومكتفية بهذا الهاتف الثابت القديم

(ديم): الهواتف النقالة تفقدني الإحساس بما حولي وأنا أريد أن أتلمس وأشعر بكل شيء.. اكتفيت من سنوات البقاء بين الجدران منكبة عليه حتى وإن كنت في قفص مصنوع من الذهب لكنه في النهاية كان قضباناً بباب موصد.. الحرية درجات.. وأعلاها وأسماها حرية الاختيار

- وكأني أتحدث مع أمك

(ديم) وهي تداعب رأس (ليو) بأناملها بيد وباليد الأخرى تثب السماعة لأذنها:

«أمي كانت قبل وفاتها تشعر مثلي لكنها بقيت وتكيفت مع أسلوب حياتك لأنها أحبتك واختارت حياتها معك ورأت أن تلك تضحية تستحق..»

صمت الأب لثوانٍ ثم قال: كنت أقصد الدب

(ديم) بتساؤل: دب؟.. أي دب؟





- اللعبة الصغيرة التي كنت لا تستطيعين النوم دونها..

(ديم) باسمة وهي تحضن (ليو) لصدرها: لم أعد بحاجتها.. معي دب غيره الآن!

- على أي حال هي في العلبة ذات الشريط الأزرق لو وددتِ الاحتفاظ بها

(ديم): شكراً يا أبي ..

- تصبحين على خير يا جميلتي..

(ديم): وأنت من أهل الخير يا جميل..

يطلق (ليو) مواءٍ قويّاً..

(ديم): (ليو) يقول لك تصبح على خير كذلك يا أبي

- أشك في ذلك.. ربما يريد وجبة أخرى.. وداعاً
أغلق الأب الخط تاركاً ابنته محتضنة قطها الأبيض السمين مسندة رأسها لوسادة ناعمة على أريكتها الكبيرة تنصت لقطرات المطر المتساقطة على نافذتها.





وجهت نظرها للنافذة وقالت:

«تعرف يا (ليو).. الحياة وحدك ليست بذلك السوء.. »

القط يصدر خريراً وهو يغمض عينيه في حجرها..

(ديم) ضاحكة: أعرف أنك معي لكن قصدت شيئاً آخر!

بعد دقائق غفت عين (ديم) وحينما فتحتها رأت أن الساعة تشير للحادية عشرة والنصف فنهضت حاملة (ليو) ووضعته على الأرض قائلة:

«هذه الليلة لن ننام ونفوت برنامجنا كما حدث الأسبوع الفائت..»

رفع القط رأسه نحوها وأطلق مواءً وهو يهز ذيله..

توجهت (ديم) نحو السلم المؤدي للطابق العلوي بعد ما أغلقت ستائر نافذة غرفة المعيشة الصغيرة وهي تقول: سوف آخذ حماماً دافئاً وبعدها سأعود لك يا (ليو).. لا تنم.

بعد مضي ما يقارب الأربعين دقيقة نزلت الفتاة وهي ترتدي كنزة قطنية بيضاء وشعرها ملفوف بمنشفة باللون ذاته وبيدها الدب الصغير الذي أخبرها أبوها عنه ووضعته فوق التلفاز بغرفة المعيشة وقبلته على أنفه قائلة بنبرة ممازحة:





«سيكون هذا مكانك من اليوم وصاعداً لأن من ينام معي الآن هو (ليو) ولا أظنه سيرضى بوجودك بجانبي على السرير..»

توجهت بعدها للمطبخ وأعدت لنفسها كوباً من القهوة وهي تحدث (ليو) الذي تبعها ودنا عند أقدامها الحافية وهو يموء وكأنه يعاتبها فقالت: أعرف أني تأخرت لكن لا بأس لم يفتنا الكثير.. مضى عشر دقائق فقط على بدء البرنامج.

خرجت (ديم) من المطبخ حاملة كوبها معها والقط الأبيض السمين يسير خلفها لكن وقبل أن تصل للأريكة سمعت بابها يُطرق فتوقفت في منتصف غرفة المعيشة الصغيرة وأدارت نظرها نحو الباب باستغراب. عم الصمت المكان لبرهة من الزمن بعد توقف الطرقات ولم يكن يُسمع سوى هطول المطر بالخارج ولم يمضِ كثيرٌ حتى عاود الطارق طرقه بطرقات خفيفة لا تكاد تسمع. سارت (ديم) ووقفت عند الباب تتأمله متسائلة بينها وبين نفسها:

«من قد يأتي في مثل هذه الساعة؟»

دنت برأسها وأطلت من العين السحرية ولم ترَ أحداً بالخارج..

وما أن ابتعدت عن ثقب الباب حتى عاد الطرق مجدداً..





دب القلق في قلبها وأصابها التوتر فتوجهت للنافذة المجاورة للباب وأزاحت جزءاً من الستارة وأطلت في محاولة لاستراق النظر لعتبة الباب الخارجية لكنها لم ترَ أحداً يقف عندها أو حولها وقبل أن تغطي النافذة مجدداً لمحت شيئاً في الأفق المظلم البعيد لم تفهمه في البداية بسبب العتمة وغزارة الأمطار لكن ومع التركيز أكثر تمكنت من رؤية بعضِ ملامحه.

لمحت ما يشبه خيال كلب أسود ضخم بأعين حمراء متوهجة أو هذا ما خطر ببالها وقتها حينما رأته يسير قادماً من بعيد باتجاه منزلها لكن ما لفت انتباهها هو المسار الذي اتخذه ذلك الشيء فهو لم يتقدم بخط مستقيم خلال سيره، بل سار بشكل ملتوٍ ومتعرج فقد كان ينحني ويلف رأسه يميناً وشمالاً وكانه أفعى تزحف على الأرض وقبل أن يصل ذلك الخيال الأسود إليها وتتضح ملامحه اضمحل فجأة تحت زخات المطر وكأنه ذاب وتحلل حتى أنها ظنت لوهلة أنها كانت تتوهم.

أغلقت (ديم) الستارة وشعور بعدم الارتياح قابض على صدرها وسرحت في الأرض وهي ممسكة بكوب القهوة بين يديها حتى مسح (ليو) بظهره على ساقها قاطعاً سرحانها لتتبسم له قائلة:

«نعم هيا بنا كي نلحق على برنامجنا..»

عادت الفتاة لغرفة المعيشة وجلست على أريكتها رافعة أقدامها عن الأرض محتضنة كوبها الساخن وتبعها القط السمين قافزاً في حجرها





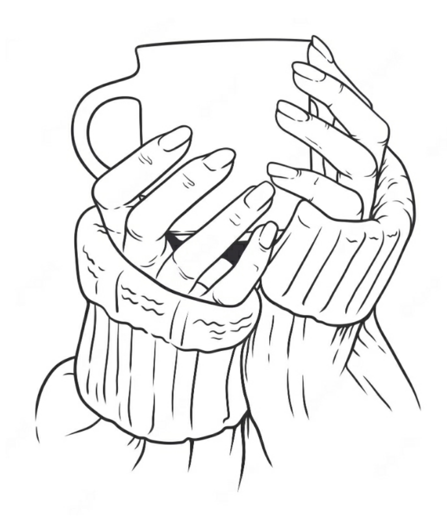
مستلقياً عليه محدقاً بمذياع صغير بجانب الهاتف الثابت قامت ديم بإدارة قابسه قائلة:

«وقتنا المفضل في الأسبوع سيبدأ يا ليو.. هل أنت جاهز؟».





الهدوء خلال العاصفة



«لنأخذ اتصالاً آخر..»

تبسمت (ديم) حينما سمعت تلك العبارة على لسان مقدم برنامجها المفضل وأخذت رشفة من قهوتها والحماس يملأ عينيها لبرنامجها الأسبوعي الذي لم تفوت حلقة منه منذ أن انطلق على الهواء خاصة وأنها كانت معجبة جداً بمذيع البرنامج وأفكاره وطريقة حديثه مع المتصلين الذين يتواصلون معه للحديث عن تجاربهم وقصصهم الغريبة.





(المذيع): تفضل يا (ناصر) نحن منصتون..

(ناصر): قبل أن أقول مشاركتي أحببت أن أوضح أمراً وهو أني غالباً لا أفرق بين الدور الأرضي والأول في المباني السكنية

(المذيع): ماذا تقصد؟

(ناصر): أليس من المتعارف عليه أن الدور الأول هو الأرضي والثاني هو الأول.. لا أعرف كيف أوضح لك قصدي فحتى وأنا أحاول أن أشرح لك أشعر بأني مشوش

(المذيع): نعم فهمتك.. صحيح البعض يجد هذه المعلومة مربكة بعض الشيء

(ناصر): هي أكثر من مربكة لي وعقلي لا يريد أن يفهم ذلك التقسيم فبالنسبة لي الأول هو الأول الملامس للأرض والثاني هو الثاني فوق الأول وهذا الدور المدعو بالأرضي لا معنى له

(المذيع): كنت أتمنى مساعدتك في هذا الأمر لكن هذا هو الواقع

(ناصر): على أي حال هذا ليس محور حديثنا وهدفي من الاتصال.. لكن كان لا بد أن أذكر هذه المعلومة عني لأنها متعلقة بقصتي التي سأرويها

(المذيع): ونحن ما زلنا منصتين.. تفضل..





(ناصر): حسناً.. كنت ذاهباً لحضور حفلة يقيمها صديقي بشقته.. كانت شقة كبيرة جداً في عمارة سكنية ضخمة وسط المدينة فصديقي ميسور الحال وهذا المبنى لا يسكنه إلا علية القوم بسبب غلاء إيجاراته والراغبون في الحصول على شقة فيه يمرون بالكثير من الإجراءات لدرجة أن جميع سكان المبنى يجب أن يصوتوا على الساكن الجديد قبل أن يصبح جاراً لهم

(المذيع): لهذه الدرجة؟

(ناصر): وأكثر .. لكن صديقي رجل معروف ولديه علاقات كثيرة مكنته من الحصول على أحد الطوابق

(المذيع): كنت أظنه يسكن بشقة وليس دوراً

(ناصر): هذا المبنى مساحة كل شقة فيه تعادل دوراً كاملاً لا يشاركك فيه أحد

(المذيع): فهمت .. أكمل ..

(ناصر): صديقي كان معروفاً بحفلاته الخاصة التي تكتظ بمعارفه الخاصين وشركائه في العمل وبالطبع أصدقائه المقربين وبالرغم من أني لا أحب هذا النوع من الحفلات إلا أني كنت أريد بعض التغيير والتجديد في حياتي الرتيبة وتلك الحفلة كانت ما أحتاجه وقتها





(المذيع): هناك طرق كثيرة لكسر روتين الحياة عدا حضور الحفلات الصاخبة

(ناصر): أعرف لكن لا أنكر أني كنت راغباً بالذهاب وقتها .. المهم .. تجاوزت البوابة ومكتب الاستقبال الذي لا يسمح لأحد بالدخول إلا إذا كان اسمه مدوناً ومسجلاً في سجل خاص بالزوار يُحدد فيه وجهته ومن سيزور.. بعدها توجهت للمصعد ورأيت فتاتين تنتظرانه فوقفت بجانبهما فتبسمتا لي وبادلتهما الابتسام ودخلت بعدهما حينما فتح باب المصعد لنا وحينها لاحظت ..

(المذيع): لاحظت ماذا؟

(ناصر): أن أشكالهما لم تكن طبيعية وكانت غريبة بعض الشيء ..

(المذيع): غريبة كيف؟

(ناصر): لا أدري لكنهما كانتا تلبسان ألبسة غير مألوفة ومبالغاً فيها من حيث الألوان والتصاميم ناهيك عن مساحيق التجميل السوداء الثقيلة التي وضعتاها على وجهيهما وقلت في نفسي: لعلهما ذاهبتان للحفل نفسه لكني لم أعرف أنها حفلة تنكرية وتأكد ظني عندما سألتني إحداهما: «هل أنت ذاهب للحفلة؟»

أجبتها بـ: «نعم .. وأنتما؟» فردت الفتاة الأخرى: «نحن كذلك ذاهبتان إليها..»





(ناصر) باسماً: جميل

بادلتني الفتاة الابتسام وأشارت بسبابتها للوحة الأزرار الخاصة بأرقام الطوابق قائلة:

«خذنا إلى هناك إذاً ماذا تنتظر؟»

تقدمت وضغطت على زر الدور ((١)) ثم تراجعت للوراء في انتظار تحرك المصعد..

- هل تسكن هنا؟ هل نسيت شيئاً بغرفتك؟

(ناصر): لا.. لمَ تسألين؟

- لأنك ستصعد بدل أن تنزل

(ناصر): ألستما ذاهبتين للحفل مثلي؟

- بلى لكننا نريد النزول

(ناصر) باستغراب: النزول إلى أين؟.. نحن في الدور الأرضي

- نحن في المبنى الأول والحفلة في المبنى الثاني.. ما بك؟.. هل أنت ثمل؟





(ناصر) لـ (المذيع): لم أفهم كلامها وظننتها تقول الدور الأول لكنها نفت أن ذاك قصدها وأصرت على كلامها وهو أننا في المبنى الأول وهما تريدان الذهاب للمبنى الثاني وقتها كان المصعد قد توقف عند الدور ((١)) وكنت لا أزال أشعر بالتشوش من كلامها وخلال ضياعي تقدمت الأخرى نحو لوحة المفاتيح وضغطت مجموعة من الطوابق بشكل بدا لي عشوائياً وكأنها تدخل رمز أمان معيناً ليتحرك بعدها المصعد نزولاً حتى عاد بنا للطابق الأرضي لكنه لم يتوقف. كنت أشعر بأنه يتحرك بالرغم من أن تنازل الأرقام توقف.

(المذيع): ومتى توقف المصعد؟

(ناصر): استمررنا بالنزول لفترة أقدرها بستة طوابق تقريباً

(المذيع): ثم ماذا حدث؟

(ناصر): فُتح الباب بعدها.. وهنا صُدمت مما رأيته..

(المذيع): ماذا رأيت؟

(ناصر): لا أعرف كيف أشرح تفاصيل ما شاهدته دون أن أبدو كشخص يهلوس

(المذيع): فقط صف ما رأيته دون أن تفكر ..





(ناصر): المكان الذي وصلنا إليه كان أشبه بالغرفة الكبيرة أو الصالة المفتوحة اكتظت بأناس يرقصون على موسيقى صاخبة والإضاءة كانت تتحرك وتتقلب بسرعة مثل التي تراها في الحفلات الغربية. تحمست الفتاتان حينما شاهدتا ذلك المنظر وتقدمتا وانضمتا للحشد المزدحم بعكسي أنا الذي بقيت متسمراً مكاني محاولاً استيعاب ما أراه أمامي

(المذيع): وهل بقيت متسمراً لمدة طويلة؟

(ناصر): لا.. هممت وقتها بالضغط على أزرار المصعد للعودة من حيث أتيت لكني لم ألحق لأن فتاة هزيلة الجسد قصيرة القامة والشعر دخلت المصعد وهي تمسك بيدها كأساً نصف مملوء بشراب أحمر وقالت لي باسمة:

«ما بك؟.. لمَ لم تنضم للحفلة؟»

تلك الابتسامة تركت أثراً غير مريح في نفسي فقد برزت معها أنياب طويلة نوعاً ما وعلى غير ما هو مألوف لأنياب البشر لذا بقيت أحدق بتلك الفتاة الغريبة وهي تتأملني باسمة بأعينها المكتحلة.. كان السواد هو المهيمن على مظهرها.. شفتاها سوداوان.. طلاء أظافرها.. لباسها.. لم أرَ لوناً آخر سوى بياض عينيها وجلدها الشاحب.

انقطع الصمت بيننا حينما قالت: أنا (آيتن).. وأنت؟





- أنا (ناصر) ..

الفتاة رافعة كأسها في وجه (ناصر) آخذة رشفة منه: تشرفنا يا (ناصر) .. هيا اخرج من المصعد كي لا تفوت الاحتفال الكبير

(المذيع): وهل فعلت؟

(ناصر): لم أجد مهرباً من التقدم والدخول بين حشود الناس الراقصة وسط الأغاني الصاخبة تاركاً تلك الفتاة وهي تراقبني باسمة وكأنها تريد التثبت من أني لن أتراجع وأعود للمصعد حتى اختفت على أنظاري حينما تعمقت وسط المكان.

(المذيع): وكيف وجدت المكان؟

(ناصر): لم يكن أقل غرابة مما شهدته قبل أن أخرج من المصعد فالحاضرون بدوا مقسمين لفئات غير مندمجة بعضها مع بعض في المظهر والسلوك

(المذيع): ماذا تقصد؟

(ناصر): على سبيل المثال كان هناك أناس عاديون جداً مثلي .. لباسهم ومظهرهم طبيعي بالرغم من سلوكهم الجنوني خلال الرقص وعلى النقيض كان هناك مجموعة أخرى وقفت على جوانب المكان تراقب بهدوء فقط ولا تشارك بالاحتفال والرقص ولباسها مختلف تماماً عن بقية الحاضرين لكنه متشابه فيما بينهم فقد بدوا وكأنهم





ملوكٌ أو أمراء من زمن قديم ومجموعة ثالثة تلبس أقنعة لحيوانات أو ما يشبه المسوخ والشياطين وهؤلاء توزعوا وتغلغلوا بيننا يرقصون بحماس أكثر من غيرهم ويصرخون كثيراً وفي منتصف المكان استقر وعاء زجاجي ضخم فوق طاولة كبيرة امتلأت بشراب أحمر يشبه ما كان في كأس الفتاة التي تحدثت معها عند المصعد وحول ذلك الإناء صفت كؤوس كثيرة ولم يقدم في ذلك الحفل شيء آخر عدا ذلك المشروب وبعض الحبوب المجهولة التي وزعت علينا.

(المذيع): حبوب؟

(ناصر): الأشخاص الذين يلبسون الأقنعة كانوا يطوفون على الحاضرين من وقتٍ لآخر ويمدون لهم ما يشبه حبة المسكن أو المخدر .. لا أعرف ..

(المذيع): وهل أخذت واحدة من تلك الحبوب؟

(ناصر): نعم .. لكني لم أتناولها بالرغم من أن من أعطاني إياها بقي واقفاً أمامي يتراقص ويشير لي بوضعها في فمي ولم يبتعد عني حتى فعلت لكني لم أبلعها وبصقتها بعد ما رحل .. وقتها قررت الخروج من المكان لأن شعوراً غريباً انتابني بأن شيئاً سيئاً سيحدث لذا جريت نحو المصعد وبدأت بضغط الأزرار بشكل عشوائي حتى أغلق الباب وبدأ بالتحرك للأعلى وما أن فتح الباب حتى خرجت مهرولاً نحو مخرج المبنى





صمت (المذيع) ولم يعلق ..

استأنف (ناصر) حديثه: في اليوم التالي اتصل بي صديقي ليسألني عن سبب عدم حضوري للحفل فحكيت له كل ما حدث لكن ردة فعله صدمتني؟

(المذيع): ماذا تقصد؟

(ناصر): توقعت أنه سيفاجأ مثلي لما شاهدت أو أنه سيعطيني تبريراً ما لكنه اكتفى بالقول: «في المرة القادمة اتصل بي حينما تصل للدور الأرضي ..» وأغلق الخط بعدها..

(المذيع): لعله لم يصدقك وظن أنك تكذب عليه

(ناصر): لا .. نبرة صوته أكدت لي أنه يعرف شيئاً لكنه خائف من الحديث عبر الهاتف

(المذيع): وهل قدم صديقك لاحقاً أي تفسيرٍ لما حدث لك تلك الليلة؟

(ناصر): منذ ذلك اليوم لم يتواصل معي وأنا فعلت المثل .. وفي الحقيقة حتى وإن فعل فأنا لن أعود لذلك المبنى مرة أخرى

(المذيع): لعل ذلك أفضل ..

(ناصر): هل لديك أنت تفسير؟





(المذيع): كل شيء وله تفسير لكن ليس كل شيء يمكن الحديث عنه .. شكراً لمشاركتك يا (ناصر) ولنأخذ اتصالاً آخر قبل الفاصل ..

«صباح الخير أنا (ياسين) ولدي مشاركة قد لا تكون مخيفة للبعض لكنها أثارت رعبي أنا شخصيّاً...»

(المذيع): صباح النور تفضل (ياسين) ..

(ياسين): أنا أعمل في شركة خاصة تهتم بالبرمجيات وتصميم المواقع الإلكترونية للمشاريع الناشئة لكن هوايتي التي أعشقها هي الرسم وبالذات رسم الوجوه والملامح وأمارسها في كل فرصة تتسنى لي فقد تجدني أرسم على أي شيء أمامي لو وجدت السطح والوسيلة وليس من الضروري أن تكون رسمة متقنة أو ذات تفاصيل دقيقة فأي خربشات بسيطة ترضيني وتشبع تلك الرغبة لذا تجدني غالباً أبحث بعيني وأجول بنظري من حولي متفحصاً وباحثاً عن شيء يشد انتباهي لأرسمه وهي عادة أوقعتني في الكثير من المشكلات ومن ضمنها ما سأتحدث عنه اليوم ..

(المذيع): نحن منصتون ..

(ياسين): كنت خارجاً لتناول غدائي في فترة الراحة المستقطعة التي أحصل عليها مرة في اليوم من عملي وبالعادة أتوجه لمطعم قريب من المبنى كي لا أهدر الساعة في التنقل وأستفيد من كل دقيقة في الاستمتاع بوقتي .. المطعم لم يكن سيئاً لكنى نادراً ما أجد لديه زبائن





وأكون غالباً وحدي لكن في مرة من المرات وبعد ما جلست لمحت فتاة تجلس عند طاولة بعيدة مني وأمامها شطيرة وعلبة عصير واستغربت مما شاهدت

(المذيع): وما الغريب في ذلك؟

(ياسين):حينما قدمت طلبي للنادل بقيت أتأملها لأرى إن كانت ذات ملامح مميزة كي أرسمها في محاولة مني للاستفادة من وقت الانتظار لكني لم أستطع تحديد ملامحها. المسافة بيننا لم تكن قريبة ورأسها كان مغطّىً بما يشبه الوشاح أو الغطاء لكن ذلك لم يكن سبباً كي لا أتمكن من تمييز ملامحها هذا بالإضافة إلى أنها لم تتناول طعامها وبقيت تحدق به فقط .. وفجأة غطت وجهها بكفيها ودخلت في نوبة بكاء

(المذيع): ربما كانت تنتظر أحداً وتأخر عليها؟

(ياسين): لا .. فقد وصل طعامي وتناولته وهي على الحال نفسها ولم يتغير شيء سوى أنها توقفت عن البكاء مستنشقة دموعها ماسحة ما تبقى بكمها ثم عاودت التحديق بطعامها بوجهها الذي أثار جنوني لأني لم أستطع على رؤيته بوضوح لذا قررت في النهاية بعد أن دفعت حسابي أن أنهض واتوجه إليها وأفتعل أي سبب للجلوس معها ولو لدقائق لأقطع الشك باليقين حتى وإن بدوت كشخص يحاول معاكستها.. وبالفعل هذا ما حدث .. اقتربت منها وحينما أصبحت عند الكرسي المقابل لها أمسكت بطرفه وقلت: «هل يمكنني الجلوس





معكِ قليلاً؟» .. هنا رفعت الفتاة رأسها ونظرت لي بوجهها الذي صدمني في البداية لكني تماسكت وحاولت أن لا أبدو فظّاً وقلت دون تفكير: «هل أنتِ بخير ..؟» .. فأجابتني بنبرة باردة وحزينة وقالت: «من أنت ولمَ تسأل؟»

(المذيع): انتظر قليلاً ..

(ياسين): ماذا؟

(المذيع): ما به وجهها؟.. من المهم ألا تترك هذه الجزئية دون أن توضح لنا سبب صدمتك

(ياسين): آه نعم نسيت .. وجهها كان ذائباً

(المذيع): ذائباً؟

(ياسين): تعرف .. مثل من تعرض لحروق شديدة .. ملامحها تداخلت بعضها في بعض كانت مشوهة بالكامل.. حتى حاجباها لم يكونا موجودين وأنفها مجرد فتحتين صغيرتين.. حتى يداها وما ظهر من ذراعها .. أعتقد أن الحروق أصابت جسدها بالكامل .. هل فهمت قصدي؟

(المذيع): فهمت .. أكمل ..





(ياسين): أجبت على سؤالها بقول: «أنا فقط لاحظت أنكِ كنتِ تبكين وأحببت الاطمئنان عليكِ لا أكثر ..» ..

دمعت أعين الفتاة ومسحتها على عجالة وقالت: «أنا بخير ... »

(ياسين): واثقة؟

هنا أشارت الفتاة لطعامها وقالت بغصة: نعم .. الأكل سيئ فقط

جلس (ياسين) أمامها متبسماً وقال: هل حقاً بكيتِ بسبب سوء مذاق الطعام ..؟

هنا استاءت الفتاة منه وقالت بشيء من السخط: ماذا تريد؟!

(ياسين): لا شيء لكني شعرت بالقلق عليكِ

(الفتاة) بعبوس: وهل تعرفني كي تقلق علي؟!

(ياسين): ما علاقة تعاطف الإنسان مع أخيه الإنسان بالمعرفة؟

(الفتاة) بتجهم شديد: لا أريد عطفاً من أحد وخصوصاً من شخص مثلك!!

(ياسين) بخليط من التعجب والاستنكار: شخص مثلي؟

(الفتاة) ونبرتها تهدأ قليلاً: أقصد شخصاً غريباً ..





(ياسين): أنا (ياسين) .. وأنتِ؟

(الفتاة) زافرة مشيحة بنظرها عني نحو باب الخروج: هل يمكن أن تتركني وشأني؟ ليس لدي وقت للمضايقات ..

(ياسين): لست هنا لأضايقكِ .. أنا هنا فقط لـ...

صرخت الفتاة بوجهه بقوة لفتت انتباه العاملين بالمطعم وقالت: ماذا تريد إذاً؟!!

نهض (ياسين) بارتباك مسقطاً الكرسي وقال: أعتذر .. لم أكن أقصد إزعاجكِ بهذا الشكل .. أنا راحل .. طاب يومكِ

(الفتاة) رافعة كفها: انتظر .. أعتذر أني كنت فظة

(ياسين) معيداً الكرسي على حاله وهو يهم بالرحيل: لا بأس .. أنا من لم يحترم خصوصيتكِ

(الفتاة): إلى أين ..؟

(ياسين): وهو يشير للمبنى الواقع أمام المطعم: فترة استراحتي من العمل شارفت على الانتهاء ويجب أن أعود

(الفتاة): يمكنك الجلوس معي لو رغبت .. أشعر بالذنب للطريقة التي تعاملت بها معك





(ياسين) بنبرة مشككة: هل أنتِ واثقة؟

هزت الفتاة رأسها بالموافقة وهي تشير له بالجلوس مجدداً ..

جلس (ياسين) وقال ممازحاً: «من يتحرش بالآخر الآن؟؟» لكن مزحته لم تدفعها للابتسام وهو في قرارة نفسه كان يتساءل إن كان سيلاحظ إن فعلت لأن فمها وشفتيها كانت مشوهة بشكل كبير. لم يتحدث أيٌّ منهما بعدها لعدة دقائق حتى قالت الفتاة وهي سارحة في طعامها: «هل ما زلت تريد معرفة سبب بكائي؟»

(ياسين): إن كان الحديث في الموضوع لا يضايقكَ فنعم ..

(الفتاة) وهي تمسك بعلبة العصير وتضغط عليها دون أن ترفعها «لقد خسرت شخصاً عزيزاً على قلبي ... »

(ياسين): أنا آسف لكِ .. صديق؟

(الفتاة): أخي .. خسرت أخي

(ياسين): هل كان ذلك منذ زمن بعيد؟

تجاهلت الفتاة سؤاله واستأنفت حديثها:

«خسرته في حريق كبير .. لم أتمكن من إنقاذه وبالكاد نجوت أنا .. نجوت بحياتي لكني خسرت أشياء أخرى ... »





(ياسين): هل يمكنني السؤال عن سبب الحريق؟

(الفتاة): شخص .. شخص ما.. لكنه في السجن الآن

(ياسين): أخذ جزاءه إذاً ..

هنا تغيرت نبرة صوت الفتاة قليلاً وكأنها تحاول كظم غيظها وقالت وهي تضغط على علبة العصير أكثر: «سوف أبذل كل جهدي لتتم تبرئته.. »

(ياسين) مستغرباً: لم أفهم .. ألم تقولي ..؟

(الفتاة) مقاطعة بنبرة حانقة: أنا من سيقتص منه وبطريقتي لكنه يجب أن يخرج من سجنه قبلها..

(ياسين): لمَ لا تحاولين مسامحته؟ فالوقت كفيل بمعالجة كل الجروح

هنا وجهت الفتاة نظرها نحوه بأعين غاضبة وقالت وهي تزيح الغطاء عن رأسها: هل يمكن للزمن معالجة هذا؟

حينما شاهد (ياسين) وجهها ورأسها الأصلع المشوه بالكامل من آثار الحروق توتر وقال بنبرة مرتبكة: «هل يمكن أن أرسمكِ؟»

هنا تبدلت نظرات الفتاة الغاضبة لمتعجبة وقالت: ترسمني ..؟





أخرج (ياسين) ورقة وقلم رصاص من جيبه وقال: «لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً ... » وبدأ يرسمها في الحال وهي تنظر له بتعجب ..

(المذيع): وهل رسمتها كما هي في الواقع أم قمت بتحسين الرسمة؟

(ياسين): رسمتها كما هي ولم أغير شيئاً على الإطلاق ..

(المذيع): وماذا قالت حينما انتهيت منها؟

(ياسين): مددت الرسمة لها كي تراها لكنها لم تأخذها وقالت بنبرة خالطها الغضب والتحدي:

«أنا لم أنظر لوجهي في المرآة إلا مرة واحدة بعد أن خرجت من المستشفى وأقسمت أن لا أفعل مجدداً حتى أقتص ممن شوهني وقتل أخي لذا احتفظ برسمتك هذه كي لا ترى وجهي الآخر الذي لم ترسمه!»

(ياسين): وقتها أدركت أن وقتي انتهى معها فنهضت وقلت: «وداعاً..» وسرت باتجاه باب الخروج وقبل أن أدفعه سمعتها تحدثني من الخلف قائلة..: «انتظر ..» فالتفت خلفي لأجدها تقف أمامي بوجهها الذائب الذي بدا أكثر تشوهاً تحت أشعة الشمس وقالت: «أنت تذكرني به ..»

(ياسين): بشقيقكِ؟





(الفتاة): لا.. بالمجرم الذي دمر حياتنا

(ياسين) بتوتر: وماذا تريدين مني الآن؟

(المذيع): هل قامت بإيذائك؟

(ياسين): لا .. تبسمت فقط .. وتمكنت بسبب ضوء الشمس الساطعة من رؤية ابتسامتها بوضوح وفي الحقيقة وجهها كان أبشع حينما ابتسمت وقالت: «لحسن حظك أننا التقينا بمكانٍ عام ..» .. سارت بعدها وتجاوزتني خارجة من المكان وتركتني في حالة قلقة جدّاً..

(المذيع): قصة غريبة ..

(ياسين): المصيبة ليست بالموقف..

(المذيع): بماإذا إذاً؟

(ياسين): من وقتها وأنا عاجز عن الرسم وكل مرة أحاول أن أرسم فيها شيئاً أجد نفسي لا أرسم إلا وجهاً واحداً فقط لا أستطيع إخراجه من رأسي .. وجه تلك الفتاة وهي تبتسم لي

(المذيع): شكراً لمشاركتك يا (ياسين) .. لنأخذ فاصلاً قصيراً ونعدْ..





مدت (ديم) يدها وخفضت صوت المذياع وقالت محدثة (ليو) المستلقي في حجرها: ما رأيك يا (ليو) أن أتصل بالبرنامج؟ .. فكرة رائعة أليس كذلك؟

نظر (ليو) لها بأعين ناعسة واكتفى بالتثاؤب ولعق كفه ثم إغماض عينيه ببطء..

(ديم) وهي تلتقط السماعة بحماس: كنت أعرف أنك ستتفق معي!

اتصلت (ديم) برقم البرنامج الذي تحفظه عن ظهر قلب لكثرة سماعها له عبر الإعلان الخاص بالبرنامج بين الفواصل الدعائية وانتظرت بأعين خالطها الترقب والتوتر خلال طنين الاتصال حتى تم الرد لتسمع صوت فتاة تحدثها قائلة:

«برنامج ((هذا ما حدث معي)) .. هل ترغب بالمشاركة؟»

(ديم): آه .. نعم.. أريد أن أشارك

(الفتاة) على الخط الآخر: تفضلي أنا (نور) .. ما نوع المشاركة؟

(ديم) بتردد: لم أكن أعرف أني يجب أن أحكيها لأحد قبل أن أتحدث مع المذيع

(نور): هذا إجراء روتيني كي نفرز المكالمات

(ديم): في الحقيقة لا أدري.. كنت أريد أن أتحدث عن حكايتي





(نور) بنبرة مستعجلة: وما هي حكايتكِ باختصار؟

(ديم) بشيء من الارتباك لاستعجال المنسقة لها: لقد ارتبكت ولا أعرف ماذا أقول ..

(نور): عاودي الاتصال بنا حينما تعرفين .. مع السلامة

تداركت (ديم) الأمر حينما أحست أن الاتصال سينهي بينهما وقالت: أنا أتعرض لهجوم!

(نور): هجوم من أي نوع؟

(ديم): من شيء غريب بأعين حمراء لم أجد له تفسيراً

(نور): هل يمكن أن توضحي أكثر؟

(ديم): لو كنت أستطيع لما اتصلت بالبرنامج

صمتت (نور) لثوانٍ ثم قالت:

«سوف نتلقى مداخلتك بعد ما ينتهي المتصل الحالي .. أبقي مذياعك مغلقاً وأنصتي للبرنامج من سماعة الهاتف كي لا تتداخل الأصوات وتتمكني من سماع المذيع بوضوح .. مفهوم؟»

(ديم) باسمة بسعادة وهي تضع كوب قهوتها على المنضدة: حاضر!





بقيت الفتاة المتحمسة منصتة بترقب للبرنامج من خلال سماعة هاتفها في انتظار دورها ..

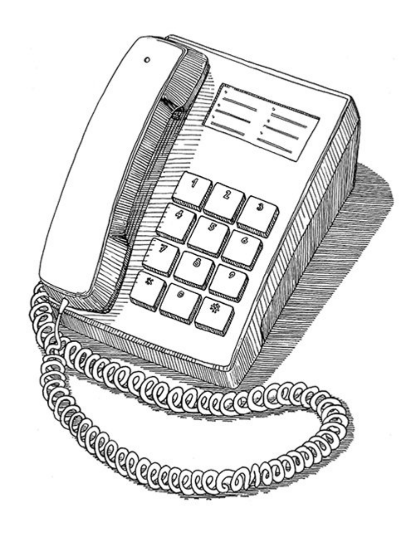







مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

حديث قلوب



«لم أفهم .. لمَ لم ترافقي خالكِ حينما قررتِ الذهاب لمنزل أهلك في المدينة الأخرى؟ .. ألم تكن وجهتكما واحدة؟»

قالها (المذيع) للمتصلة التي كانت معه على الخط حينما بدأت برواية قصتها..

- بلى .. لكن في الواقع علاقتي معه مضطربة نوعاً ما ولا أحب الوجود حوله لدرجة أني لم أزره مرة واحدة منذ انتقالي للمدينة نفسها التي يقيم فيها حينما توظفت هناك





(المذيع): وما سبب هذا الجفاء بينكما؟

- لأنه يتصرف معي غالباً بطريقة مستفزة.. ينتقد لباسي وعملي وفكرة أني أقيم وحدي ولم أقم معه ومع عائلته.. أمور سخيفة كثيرة يثيرها ويناقشها أمامي ومن ورائي مع أمي وفي الحقيقة كنت في غنىً عن أن أكون محبوسة معه في السيارة وأجبر على الإنصات له ولموضوعاته المكررة هذه وانتقاداته اللاذعة بحقي دون أن أستطيع الرد عليه مراعاة لمشاعر أمي التي تستاء جداً مني حينما أفعل ذلك وعلى كل الأحوال كنت قد وعدت زميلتي في العمل أن أرافقها لأنها تقيم في مدينتي نفسها وتذهب هي الأخرى لأهلها نهاية كل أسبوع وقد طلبت ذلك مني قبل أيام لأنها تخاف القيادة ليلاً على الخطوط السريعة وبدأ خوفها يزداد مؤخراً لأنها نعست مرتين خلال الطريق وكادت أن تتسبب في حادث وتريد شخصاً يسليها في تلك الرحلة الطويلة وحتى لو لم أكن سأذهب معها كنت سأذهب وحدي

(المذيع): هل تجيدين أنت القيادة كذلك؟

- نعم وأملك رخصة قيادة وسيارة لكني وبعكس زميلتي أكره القيادة على الخطوط السريعة وبصراحة اقتراحها لمرافقتها كان كطوق نجاة لي

(المذيع): كم تبعد المسافة بين المدينتين؟

- قرابة سبع ساعات





(المذيع): مسافة ليست باليسيرة

- نعم .. لذا قررت صديقتي التحرك من مسكنها بعد الرابعة فجراً

(المذيع): ولمَ هذا التوقيت بالذات؟

- تقول بأن الشوارع تكون أهدأ وأقل ازدحاماً وقتها

(المذيع): وهل تحركتما على الموعد؟

- كانت عند باب عمارتي تمام الثالثة والأربعين دقيقة وقد جلبت معها الكثير من القهوة خشية أن تنعس إحدانا لكن ذلك لم يحدث لأننا أمضينا معظم الطريق في الحديث عن زملائنا في العمل

(المذيع): تقصدين في النميمة عنهم ..

- شيء من هذا القبيل نعم

- (المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

- قرابة الخامسة اكتشفت أن الطريق الذي نسير عليه مختلف عن الطريق الذي اعتدت أن أسلكه أنا عندما كنت أسافر بسيارتي فسألتها وأجابتني بأنها سلكت طريقاً مختصراً سيوفر علينا ساعتين فغضبت منها لأني أعرف ذلك الطريق جيداً وهو سيئ وخالٍ من الخدمات ومحطات الوقود ولا يستخدمه إلا عدد قليل من الناس المضطرين لذلك لأن أجزاء طويلة منه لا تغطيها شبكات الهواتف المحمولة ولو





تعطلت سيارتنا فسنواجه مشكلة كبيرة قبل أن يجدنا أحد لكنها لم تبالِ وقالت بأني أبالغ في حذري وتشاؤمي وأن سيارتها جديدة ولن تتعطل

(المذيع): وعطلت بكما؟ ..

كنت أتمنى أن تتعطل كي لا نتعرض لما تعرضنا له ..

(المذيع): تعرضتم لماذا؟

- موقف لم نحسب حسابه .. الطريق كان مظلماً والسماء خالية من أي قمر أو نجوم ولم نرَ أمامنا سوى ما أنارته إضاءة السيارة وذلك لم يتجاوز بضعة أمتار وكنا نسير بسرعة عالية نوعاً ما كي نجتاز هذا الطريق بوقت أقصر والشارع لم يكن مثالياًرللسرعة فمن وقتٍ لآخر نعبر فوق بعض الحفر والتشققات التي تهز المركبة بقوة خاصة وأن صديقتي لم تكن تنتبه لها إلا بعد فوت الأوان لكن السيارة في إحدى المرات اهتزت بقوة أعنف من أي وقت سابق لدرجة أن رأسي كاد أن يصطدم بالزجاج الأمامي فصرخت في صاحبتي بأن تخفف من سرعتها أو تنتبه أكثر للحفر لكنها أكدت لي أننا لم نعبر فوق حفرة وأن الاهتزاز كان بسبب شيء آخر ..

(المذيع): شيء آخر؟





- نعم .. جسم ما ارتطم بنا من الخلف .. لكننا لم نرَ شيئاً عندما نظرنا للطريق خلفنا وحينما تكرر الاهتزاز مجدداً بشكل أقوى من السابق انحرفت السيارة بنا جانباً للطريق الترابي متوقفتين بعد بضعة أمتار نزلنا بعدها لتفحص السيارة

(المذيع): وماذا وجدتما؟

- الظلمة كانت شديدة حولنا لذا استخدمنا هواتفنا للإنارة واكتشفنا أن مؤخرة المركبة تعرضت للتهشم وكأن سيارة أخرى ارتطمت بنا ولم نجد أي أحد بالجوار غيرنا لكن حيرتنا لم تدم طويلاً حينما أضاء نور قوي تجاهنا قادم من الطريق المعبد .. وكانت بالفعل سيارة أخرى لم نتمكن من رؤيتها وقت الارتطام لأنها قد أطفأت أنوارها خلال الاصطدام بنا مرتين .. أشارت صديقتي لي بالركوب في الحال كي نهرب من المكان وانطلقنا على الفور وتلك السيارة تتعقبنا ومن وقت لآخر تحاول الارتطام بنا لإيقافنا لكن صاحبتي لم تعطها فرصة خاصة وأن سيارتها كانت أحدث وأسرع منها ومع ذلك لم يتراجع من كان يلاحقنا وتمكن في إحدى محاولاته من تجاوزنا والتوقف فجأة أمامنا كي نصدم به لكننا تمكنا من تفاديها وعندها انتبهنا أن تلك السيارة بلا لوحات تعريفية وتيقنا أنه قاطع طريق لكننا استطعنا تحديد طرازها ولونها وكنت مهتمة جدّاً بذلك كي أقدم تلك التفاصيل للشرطة في حال نجونا ولحسن الحظ أن تلك المركبة كانت تملك

علامة فارقة حفظتها جيداً





(المذيع): علامة ماذا؟

- كان هناك ملصق على جانب الزجاجة الخلفية لأحد الأندية الكروية المعروفة

(المذيع): ألم يكن من الأسهل إخراج هاتفك وتصويرها؟

- صدقني في وقتها كل هذه الأفكار المنطقية تتبخر وسط الصراخ والرعب الذي كنا نعيشه

(المذيع): وهل تمكنتما من الهرب؟

- قضينا ما يقارب نصف الساعة من المطاردات المخيفة على ذلك الخط المظلم قبل أن نصل للطريق الرئيس الذي خرجنا عنه ويقود لمدينتنا وقتها تراجع ذلك المطارد وعاد أدراجه وأمضينا بقية الطريق نسير ببطء من هول ما مررنا به ولم نستوعب ما حدث حتى بدأت الشمس بالإشراق وأحسسنا بشيء من الأمان وبسبب ذلك تأخرنا قليلاً في الوصول فلم ندخل حدود المدينة إلا قرابة الظهر وقامت صديقتي بإنزالي عند منزل أهلي وقبل رحيلها اتفقنا أن نذهب للشرطة عصراً بعد ما نلتقي بأهلنا ونطمئنهم علينا وبعد رحيلها سرت متوجهة لمدخل البيت لكني توقفت مصعوقة حينما رأيت تلك السيارة التي طاردتنا تقف أمام المنزل

(المذيع): هل كنت واثقة من أنها السيارة نفسها؟





- كما أخبرتك .. لا يمكن أن أنساها أو أنسى تفاصيلها

(المذيع): هل كان الفاعل أحد جيرانكم؟

- هذا ما ظننته في بادئ الأمر لكن الحقيقة تجلت لي حينما فية دخلت للمنزل واكتشفت أن هناك ضيفاً أتى لزيارة أمي التي استقبلتني بالعناق والعتب على التأخير لكني لم أرد عليها وبادرتها بالسؤال بقلق عمن كان يزورها في هذا الوقت فقالت بأنه خالي .. خالي الذي حدثتك عنه .. هو نفسه صاحب السيارة التي طاردتنا ..

صمت (المذيع) قليلاً ثم قال: وهل بلغتِ الشرطة عنه كما اتفقتِ مع صديقتك؟

- لنقل فقط بأني واجهت وقتاً عصيباً في إقناعها بعدم القيام بذلك..

أغلقت بعدها المتصلة للخط..

(المذيع): شكراً لاتصالكِ لكن أنصحكِ بالتراجع عن قراركِ أو على أقل تقدير إخبار أحد من أهلك بما حدث فهذا الرجل مختل وقد لا يتوقف عند هذا الحد .. لنأخذ اتصالاً آخر





اتسعت أعين (ديم) في تلك اللحظة وشدت على السماعة استعداداً لمشاركتها حينها سمعت (نور) تقول: «هل أنتِ جاهزة؟»

(ديم) بشيء من التوتر: نعم جاهزة

(المذيع): تفضل نحن منصتون ..

(ديم): أهلاً أنا (ديم) وأريد المشاركة

(المذيع): تفضلي (ديم) ما هي مشاركتكِ؟

(ديم): في الحقيقة .. لا أعرف ماذا أقول

(المذيع): تحدثي بأريحية ولا تقلقي من أي شيء فأنا لا أصدر أي أحكام

(ديم): أعرف .. لذا هذا البرنامج هو المفضل لدي وأنت أكثر شخص أحب الإنصات له

(المذيع) باسماً: شكراً على هذا الإطراء (ديم)

(ديم): هذه حقيقة وليست إطراء فحتى وأنت تتحدث بحدة مع بعض المتصلين أجد في حديثك شيئاً مريحاً ويزيل أي توتر أو قلق أشعر به

(المذيع): وهل كنتِ قلقة أو متوترة من شيء قبل الاتصال بالبرنامج؟





(ديم): نوعاً ما لكنه زال الآن بعد ما تحدثت معك

(المذيع): حدثيني إذاً أنتِ عن نفسك أكثر ..

في تلك اللحظة وجهت معدة البرنامج (نور) التي كانت تجلس أمام المذيع في الاس استديو وهي تحني رأسها جانباً نظرة تساؤل كان مفادها:

«منذ متى نتحدث مع المتصلين عن حياتهم الشخصية..؟ »

(ديم) بشيء من التوتر: أنا .؟

(المذيع): نعم أنتِ..

(ديم): لكن .. لا أريد أن آخذ من وقتك ووقت البرنامج الكثير كي لا أحرم بقية المتصلين من المشاركة

(المذيع): لا تقلقي من هذا الأمر وتحدثي فقط .. أنا منصت

(ديم): انتقلت قبل أقل من عام لمدينة جديدة كي أكمل دراستي الجامعية





(المذيع): هل تقيمين وحدك؟

(ديم): نعم ..

(المذيع): وكيف وجدتِ العيش وحدك؟ .. هل تأقلمتِ بسرعة؟

(ديم): في الحقيقة لم أجد أي صعوبة .. في البداية ظننت أني سأشعر بالوحدة والفراغ لكن ذلك لم يحدث ووجدت حالة جديدة من الصفاء الذهني لم أعهدها من قبل

(المذيع): هل عائلتك كبيرة؟

تشير المعدة (نور) بسبابتها على ساعة يدها في إشارة أن الحوار الجاري مضيعة للوقت لكن المذيع يتجاهلها ويكمل حواره مع (ديم)..

(ديم): على العكس تماماً.. أنا وحيدة أبي وأمي لكن علاقتهما بي كانت .. كانت أقرب من اللازم

(المذيع): كيف لم أفهم؟

(ديم): لن أستطيع شرح ذلك دون أن أبدو غريبة أطوار ..

(المذيع): حسناً لا بأس .. المهم أنكِ منسجمة ومرتاحة الآن في حياتكِ





(ديم): مؤخراً بدأت أفقد تلك الراحة ..

(المذيع): ماذا تعنين؟

(ديم): مجدداً لا أريد أن أبدو كغريبة أطوار لكني أشعر أني لست وحدي في هذا المنزل .. ربما هي هواجس خاصة بي ومجرد تخيلات لكن لدي إحساس قوي أنها ليست كذلك.. على سبيل المثال بدأت أرى أحلاماً أكثر من المعتاد منذ انتقالي وفي الحقيقة هي ليست مزعجة في محتواها لكن ما يزعجني هو ما أراه من خلالها ..

(المذيع): هل يمكن أن تشاركيني بعضها؟

(ديم): مثلاً أرى أنني في منزلي هذا نفسه لكنه ليس هو .. هل تفهم ما أقصد؟ .. حالة المكان تكون مختلفة .. قديمة .. وكأنه قد مضى عشرات السنين عليه دون تنظيف أو عناية وأسمع أصواتاً في غرفه وزواياه وكلما تحركت سواء إليها أو هرباً منها كانت حركتي مقيدة أو بطيئة وكأني أسير تحت الماء أو في بركة من الصلصال اللزج وهناك شعور آخر ملازم لي دوماً حينما أخلد للنوم وقبل أن أغفو وهو بأني مراقبة أو هناك من يتربص بي .. لا أجيد الشرح لكني وضحت قدر استطاعتي..

(المذيع): هل رأيتِ شيئاً حاسماً من قبل؟ (ديم): ماذا تقصد بـ «حاسم»؟





(المذيع): أعني في الواقع .. لأشكال أو أفعال صريحة لأشخاص .. أو .. كائنات معينة ..

(ديم): لا .. لكن أشعر بوجود شيء حولي في كوابيسي ويقظتي.. شيء يقترب حد الالتصاق بي لكنه لم يتعرض لي قط.. وكأنه عاجز عن ذلك .. فهمت؟

(المذيع): فهمت قصدكِ..

(ديم): والغريب في الأمر أني أشعر بالرعب منه وأحس باقترابه مني دون أن ألمحه وقبل أن يطبق هاجس يطبق هاجس الخوف عليّ ويخنقني ينقشع كل شيء فجأة ويزول معه كل شعور سيئ وأحس بارتياح شديد ..

(المذيع): وكأنه نفر منك أو صده شيء ..

(ديم): بالضبط

(المذيع): هذا دليل أن حصانتك قوية وتصده .. لكن إصراره غريب

(ديم): تصد من؟ .. عمن تتحدث؟

يصدر (ليو) صوت خرير يتبعه بمواء ..





(المذيع) باسماً: هل هذا قطكِ؟

(ديم) مبتهجة: نعم! .. هذا (ليو) .. ابني الصغير

(المذيع) ممازحاً: كنت أظنكِ تقيمين وحدكِ؟

(ديم): (ليو) جزء لا يتجزأ مني لذلك لا أعتبره أحداً آخر

(المذيع): هو محظوظ بكِ وحديثكِ عنه يدل على أنكِ إنسانة عطوف

(ديم): ضاحكة بخجل: أنا لست لطيفة لهذا الحد

(المذيع): أنا لم أقل بأنكِ لطيفة .. قلت عطوف

(ديم): هل يمكن أن تشرح لي الفرق؟

في تلك اللحظة رفعت (نور) كفها في الهواء وأشارت بحركة:

«ما الحكاية؟» ..

(المذيع) متجاهلاً (نور) مرة أخرى ومكملاً حديثه:





«سأشرح لكِ بمثال .. لو أصبتِ بمرض ما لا قدر الله وبقيتِ في المنزل ولم تستطيعي الخروج حتى للذهاب للطبيب .. فهناك من سيتصل بكِ ليطمئن عليكِ ويسأل عن سبب غيابكِ وعندما يعرف بحالتكِ سيهديكِ أجمل عبارات المواساة والتعاطف وتمنياته لكِ بالشفاء العاجل لكنه لن يعرض عليكِ أخذكِ للطبيب أو يأتي لمنزلك لزيارتكِ وتفقد حوائجكِ .. هذا إنسان «لطيف».

(ديم): والعطوف؟

(المذيع): «العطوف» سيأتي لمنزلكِ فوراً حالما يعرف أنكِ مريضة أو بحاجة للمساعدة وقد يكون حديثه معكِ جافّاً ومؤنباً لإهمالكِ نفسكِ ولن يقدم لكِ الكثير من العبارات الجميلة المواسية لكنه سيقدم لكِ العون ولن يترككِ حتى يطمئن عليكِ وقد يختم تلك الزيارة بتهديدكِ بأنكِ لو أهملتِ نفسكِ مرة أخرى فسوف يعاقبكِ .. وهذا الشخص في الحقيقة يحبكِ أكثر بالرغم من أنه قد لا يبدو ظاهريّاً كذلك لكن للأسف نحن نفضل من يعاملوننا بلطف ونميل لهم أكثر ممن يعاملوننا بعطف لأننا لا ندرك الفرق بينهما ..

(ديم): ربما لأن الكلمة الطيبة تأثيرها أقوى من الفعل

(المذيع): لكن الأفعال هي الدليل الحقيقي على الاهتمام وليس الأقوال .. شكراً لمشاركتكِ (ديم) .. استمتعت بحوارنا القصير

(ديم): شكراً لك أنت كذلك لقد سعدت بالحديث معك





(المذيع): كان ذلك شرفاً لي .. كوني بخير

أغلقت (ديم) الخط محتضنة قطها الأبيض السمين وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة عريضة وهي تنصت لما تبقى من حلقة البرنامج وسرحت متأملة في الدب الصغير المستقر فوق التلفاز أمامها وقالت:

«هذه الليلة مختلفة .. أليس كذلك يا (ليو)؟»

في تلك اللحظة طُرق الباب ..

فزعت (ديم) من مكانها ومدت ذراعها خافضة صوت المذياع وبقيت تحدق بالباب وصوت المطر يتساقط بقوة في الخارج ..








مكتبة ضاد
t.me/twinkling4

زائر الليل



ترددت الفتاة المتوترة في النهوض لكنها في النهاية رفعت القط الأبيض السمين عن حجرها وقامت من مكانها وسارت نحو النافذة وأزاحت الستارة بحذر وأطلت بنظرها نحو عتبة الباب

ولم ترَ شيئاً سوى تفاصيل بالكاد اتضحت لها بسبب النور البسيط الآتي من الإنارة المعلقة والتي لم تبدد الظلام الحالك المهيمن على المكان فوجهت عينيها يميناً تجاه الشارع لترى خيالاً غريباً يقف منتصباً.

لم تتمكن من تحديد ماهيته إلا عندما أرعدت السماء وبرقت بوهجٍ أبيض خاطف أظهر لثوانٍ معدودة معالم شخص بشعر طويل منسدل مما جعلها تشك أنها امرأة خاصة وأنه لبس عقداً لماعاً حول





عنقه وما يشبه العباءة السوداء على أكتافه. وقف ذلك الغريب تحت المطر المنهمر ورأسه منزل للأرض دون حراك فشعرت ديم بالرعب الشديد مما شاهدت وقبل أن تقوم بأي ردة فعل برقت السماء مجدداً لترى ذلك الرجل وقد رفع رأسه ناظراً تجاهها بأعين حمراء متوهجة وكأنها أنوار مشعة. فتحت ديم فمها من هول ما رأته وتراجعت للخلف بخطواتٍ بطيئة واضعة يدها على فمها وهي مصدومة.

استعادت (ديم) تركيزها بسرعة وجرت نحو الباب لتتحقق من أنه محكم الإغلاق ثم عادت أدراجها وحملت قطها واحتضنته لصدرها وجلست على الأريكة بعد ما أدارت صوت المذياع في محاولة لنسيان ما رأته للتو.

(المذيع): ماذا تقصد بأنه لم يكن يريد أن يخضع للتخدير قبل العملية؟

- كما أخبرتك .. المريض حاول أن يقنعنا بأن نجري له العملية بدون تخدير أو على أقل تقدير تخدير موضعي فقط لكني شرحت له أن عمليته هذه دقيقة ولا يمكن إجراؤها إلا بتخدير كامل

(المذيع): وماذا قال؟

- تردد كثيراً واقترح أن نغطي فمه بشريطٍ لاصق حينما يبدأ بالاستفاقة بعد التخدير كي لا يتكلم دون وعي لكني رفضت بشدة لأن ذلك قد يعرضه لخطر الاختناق وحينما سمع رفضي فكر جدياً بالتراجع عن





إجراء العملية لولا أني وضحت له أنه وبدون هذه العملية سوف يموت بلا شك خلال فترة وجيزة فوافق بشرط

(المذيع): شرط ماذا؟

- أننا حينما نحقنه بمصل الإفاقة نخرج مباشرة من الغرفة ونتركه وحده حتى يفيق بالكامل لأن وجودنا قد يشكل خطراً

(المذيع): خطراً على مَن؟

- لم أسأله ولم أرد أن يطول الجدال معه في هذا الموضوع الذي لم يعجبني من الأساس لأني وقتها كنت مقتنعاً أنه مجرد رجل كبير في السن يملك هواجس مغلوطة عن العمليات الجراحية ويريد التهرب من إجرائها

(المذيع): وهل لبيتم له طلبه في تركه وحده في غرفة الإفاقة؟

- شكلياً فقط كي يوقع على أوراق العملية لكننا في الواقع لم نكن سنقوم بذلك لأننا يجب أن نتابعه في دقائق الإفاقة الأولى للتحقق من أنه لا يعاني من أي آثار جانبية بعد التخدير .. لقد كان شيخاً طاعناً في السن وكنا نظن أنه يخاف من أن يهلوس ببعض الأسرار التي لا يريد منا أن نسمعها وهذا شيء مألوف ونتعرض له كثيراً لذا لم نأخذ كلامه على محمل الجد وقتها .. وليتنا سمعنا كلامه ولم نبق حوله حينما أفاق





(المذيع): لماذا؟ .. ماذا حدث؟

- أجرينا العملية بنجاح وقام الطبيب المختص بحقنه بالمادة المضادة للتخدير ثم نقلناه لغرفة الإفاقة بجانب غرفة العمليات حتى تستقر حالته قبل نقله لغرفته وعندما بدأ يستعيد وعيه تدريجياً كنت أنا وممرضتان معه وهنا بدأ يتمتم

(المذيع): يتمتم بماذا؟

- لا أعرف .. مصطلحات لم أفهمها .. ظننت في بادئ الأمر أنها لغة أجنبية ما لا نجيدها لكن حينما بدأ يحرك يديه وأنامله في الهواء عرفت أن الحكاية ليست مجرد هلوسات عادية من التخدير فقط خاصة عندما وقعت إحدى الممرضتين على الأرض وهي تصرخ بقوة واضعة يديها على أذنيها وعيناها تنتفخان حتى تفجرتا تبعها تورم عنقها حتى ماتت مختلفة ولم نلبث ثواني حتى اندفعت الممرضة الأخرى لأقصى المكان مرتطمة بالجدار بقوة أفقدتها الوعي

(المذيع): وأنت؟ .. ماذا حل بك؟

- خرجت جرياً من المكان قبل أن يصيبني شيء مما أصابهما واستدعيت الأمن فوراً وبعد وصولي معهم كان الرجل قد أفاق بالكامل ونظر إلي وقال: «أخبرتك بأن لا تبقوا معي حينما أفيق ..» .. وبالرغم من حالته الصحية إلا أنني وجهت بتبليغ الشرطة للتحقيق في الأمر وإبقاء المريض رهن الحجز والمراقبة





(المذيع): وعن ماذا أسفر التحقيق؟

- لا أعرف .. لقد خرج من المستشفى وهو رهن الاعتقال لكن مما سمعت لاحقاً أنه تم تبرئته لعدم وجود أدلة كافية لكني متيقن أنه هو المتسبب فيما حدث .. هل لديك أنت أي تفسير؟

(المذيع): وهل ستقبل تفسيري لو أخبرتك؟ .. أقصد كرجل يمارس مهنة الطب وفي الغالب لن تقبل تفسيراً غير «منطقي» إن صح التعبير

- بعد ما شاهدت ما شاهدته لم أعد أنفي أي احتمال ..

(المذيع): مريضك كان ساحراً ..

- ساحراً؟

(المذيع): نعم .. وما هلوس به رغماً عنه هو بعض الطلاسم ولسوء حظك وحظ الممرضتين أنها كانت طلاسم إيذاء

- هل هذا هو تفسيرك الوحيد؟

(المذيع):هذه هي الحقيقة..

صمت المتصل ولم يرد ..

(المذيع): شكراً لاتصالك يا دكتور .. لنأخذ فاصلاً بسيطاً ونعود بعده





أغلقت (ديم) المذياع وبدأت تمسح على رأس قطها بأناملها ونظرها المتوجس منصب على الباب لأنها لم تستطع نسيان ما رأته قبل قليل بالخارج وخلال سرحانها طُرق الباب لكن بقوة مختلفة عن المرتين السابقتين وهنا قام (ليو) بالبخ بغضب.

(ديم): اهدأ يا (ليو) .. سنتصل بالشرطة

مدت الفتاة يدها نحو الهاتف الثابت لكن وقبل أن ترفع السماعة سمعت شخصاً ينادي عليها من وراء الباب قائلاً:

« (ديم)!! هل أنت بالداخل؟!»

(ديم) بوجه متعجب محدثة نفسها بعد ما تعرفت على صاحب الصوت: .. (حاتم)؟

نهضت الفتاة المرتابة حاملة قطها بين ذراعيها وسارت نحو الباب واضعة أذنها على سطحه قائلة: (حاتم) .. هل هذا حقاً أنت؟

أجابها الشخص من خلف الباب بصوت مرتفع بسبب تصاعد قوة انهمار المطر: نعم أنا .. افتحي لي الباب!





ترددت (ديم) في فتح الباب بالرغم من أنها تيقنت من صوته لكن الشك ساور قلبها لأنها لم تتمكن من رؤية ملامحه بوضوح من خلال العين السحرية في الباب مما دفعها لقول:

«تعال عند النافذة لأتحقق ..»

- تتحققين من ماذا؟

(ديم) منزلة (ليو) المسند رأسه لساعدها على الأرض متوجهة للنافذة:

«تعال فقط ولا تجادل!»

أزاحت (ديم) الستار وحينها رأت صديقها من الجامعة (حاتم) وهو يلوح لها بكفه باسماً تحت المطر. عادت للباب وحلت الأقفال وفتحت له وأشارت بكفها له بالدخول ..

دخل (حاتم) وسار لوسط غرفة المعيشة بحذائه الملطخ بالوحل على السجادة البيضاء وهو ينفض لباسه من قطرات الماء العالقة به قائلاً: الجو بالخارج يزداد سوءاً كل ساعة!

(ديم) مغلقة الباب محكمة إقفاله: هل تعرف كم الساعة الآن؟

(حاتم): الوقت متأخر أعرف





استدارت (ديم) نحوه وأشارت لأقدامه وتحديداً لحذائه الجلدي السميك المشابه لما ينتعله عمال البناء أو المصانع وقالت:

«هل يمكن أن تخلع حذاءك الملطخ بالطين قبل أن تلوث أثاث منزلي .. ؟»

(حاتم) ضاحكاً وهو يهم بخلع الفردة اليسرى: المعذرة لم أنتبه!

(ديم) وهي تراقبه يخلع الفردة الثانية ماسحة على رأس (ليو) بعد ما رفعته من على الأرض: لم تجبني .. ما الذي أتى بك في هذا الوقت؟

(حاتم) واضعاً الحذاء جانباً: ألا يحق لي أن أشتاق؟

(ديم) بتجهم: لا تتحدث معي بهذه الطريقة!

(حاتم) باسماً مقترباً منها: أي طريقة؟

(ديم) عائدة نحو أريكتها و(ليو) بين ذراعيها: طريقة المراهقين تلك!

(حاتم) مستديراً باسطاً كفيه خلال جلوس (ديم) بنبرة ممازحة: ما بكِ؟ .. كنت أظن ..

(ديم) مقاطعة بعبوس واستياء شديدين: تظن ماذا؟!.. ثم كيف عرفت مكان إقامتي؟!

(حاتم) متقدماً نحوها: الأمر لم يكن بتلك الصعوبة .. تبعتك





(ديم) بوجه خالطه التعجب والاستنكار: تبعتني؟!

(حاتم): ولمَ العجب؟ .. نعم تبعتكِ بعد انتهاء المحاضرات في أحد الأيام حتى عرفت مكان إقامتكِ

(ديم): ألا تجد أن هذا تصرف أحمق ومشبوه بعض الشيء؟

(حاتم) جالساً على الأريكة بجانبها متحدثاً بنبرة متوددة: لا حيلة للعاشق حينما يهيمن قلبه على عقله ..

(ديم) ناهضة من مكانها وبتقزز: عاشق؟! .. ألا ترى سخافة ما تقوم به؟! .. نحن مجرد صديقين في الجامعة وكوننا تحدثنا على انفراد في الأيام الماضية فهذا لا يعطيك الحق ..

في تلك اللحظة انفجر (حاتم) ضاحكاً ووقع على الأرض وهو يقول:

«لقد انطلت الحيلة عليكِ وصدقتني!»

(ديم) بغضب: ألا تسأم من مزاحك الغبي هذا؟!

(حاتم) وهو لا يزال يضحك على الأرض: ليتني قمت بتسجيل تعابير وجهك! .. كانت رائعة!

(ليو) يبخ بغضب وهو بين أذرع (ديم)..





(حاتم) ناهضاً ماسحاً دموعه من الضحك متهكماً على كلام (ديم) قائلاً: «نحن مجرد صديقين »

(ديم) باسمة: أحمق ..

(حاتم) ملوحاً بكفه: حسناً.. حسناً.. لا تغضبي سوف أرحل .. في الحقيقة أتيت للاطمئنان عليكِ فقط

(ديم) منزلة (ليو) على الأرض: وهل شكوت لك الحال كي تطمئن علي؟

(حاتم): لا لكنكِ تصرين على عزل نفسكِ عن العالم بعدم اقتناء هاتف وتجعلين التواصل معكِ أمراً شبه مستحيل

(ديم): أنا لدي هاتف..

(حاتم) مشيراً للهاتف الثابت على المنضدة: تقصدين قطعة الخردة تلك؟ .. في أي زمن تعيشين؟

(ديم): لا شأن لك

(حاتم): أنا المخطئ لأني أتيت لتحذيركِ

(ديم) بتساؤل: تحذيري من ماذا؟





حاتم وهو يمد ذراعيه ملتقطاً القط السمين: هذا هو (ليو) إذاً الذي تتحدثين عنه كثيراً وتتركين تجمعاتنا مبكراً بسببه .. يا إلهي .. إنه ضخم .. ألم تقولي بأن عمره بضعة أشهر فقط؟

(ديم): لا تغير الموضوع وأخبرني .. تحذرني من ماذا؟

(حاتم) وهو يفرك قمة رأس (ليو) بأنامله: العاصفة الممطرة ..

(ديم) مشيرة للنافذة المبتلة بقطرات المطر وبنبرة متهكمة: فات الأوان على ذلك .. ثم إن ما تسميها عاصفة ليست سوى بعض الغيوم الممطرة

(حاتم) واضعاً القط على الأرض: العاصفة لم تبدأ بعد .. الأرصاد تتنبأ بشيء أسوأ قادم في الطريق مما قد يتسبب في فصل الكهرباء والخدمات عن معظم أحياء المدينة ومن ضمنها خطوط الهاتف الثابتة وبما أنك عنيدة ولا تملكين هاتفاً نقالاً حديثاً فمن الممكن أن تقعي في مشكلة ولا تستطيعي طلب النجدة من أحد في حال احتجتِ لذلك

(ديم): ليكن في معلومك أن خطوط الهاتف الأرضية لا تنقطع بسهولة بسبب المطر .. لذا فاحتمالية وقوع ما ذكرت شبه معدومة

(حاتم): لم أكن سأخاطر لولا أن الأمر وارد الحدوث





(ديم): وماذا تنوي أن تفعل الآن؟ .. تحبس نفسك معي هنا حتى الصباح؟

(حاتم): سأبقى في سيارتي بالخارج لو كنتِ غير مرتاحة لوجودي هنا لكني لن أرحل قبل أن أطمئن إلى أنكِ ستكونين بخير

صمتت (ديم) لثوانٍ وهي تتأمل ملامح (حاتم) الحازمة وقالت لـ (ليو) الواقف بينهما يشاركها التأمل:

«ما رأيك يا (ليو)؟ »

حنى (ليو) ظهره وبخ بقوة وغضب ..

(حاتم) وهو يحدق بأعين (ديم): من الواضح أن (ليو) غير متقبل لوجودي .. سأخرج

(ديم) ملتقطة قطها من على الأرض: لا .. يمكنك البقاء هنا حتى تهدأ العاصفة

(حاتم) باسماً وممازحاً: وتهدأ أشواق قلبي ..

(ديم) وهي تسير مبتعدة عنه تجاه المطبخ: كف عن ذلك يا أبله!





(حاتم) رامياً بنفسه على الأريكة ضاحكاً: تعابير وجهكُ حينما أقولها ترغمني على ذلك!

(ديم) قبل دخولها المطبخ: ماذا تريد أن تشرب؟

(حاتم) واضعاً ساقاً على ساق: أي شيء ساخن

(ديم) بصوت مرتفع من وسط المطبخ: هل أعد لك قهوة مثلي؟!

(حاتم) وهو يجول بنظره في المكان محركاً قدمه: نعم لا بأس لكن بدون أي إضافات

خلال انتظاره لـ (ديم) انتبه (حاتم) للدب المستقر فوق التلفاز فحدق به وسرح بمعالمه لثوانٍ ثم قال بصوت مرتفع:

«أين دورة المياه؟ »

(ديم) مجيبة من وسط المطبخ الذي خرج منه (ليو) مهرولاً:

نهاية الممر على اليمين!

مضت بضع دقائق خرجت بعدها (ديم) لغرفة المعيشة حاملة صينية صغيرة استقر فوقها كوب القهوة الذي وضعته فوق





المنضدة وهي تبحث بنظرها عن (ليو) الذي لم تجده ولم يأت إليها.

في بادئ الأمر لم تشعر بالقلق لكنها وبعد ما نادت عليه ولم يجب عليها توترت بعض الشيء ونادت على حاتم وقالت:

«هل ما زلت بالحمام؟!»

سارت (ديم) بوجه خالطه التعجب وبعض التوتر في الممر المؤدي لدورة المياه ووقفت عند الباب وطرقته برفق قائلة: «(حاتم)؟ .. هل أنت بالداخل؟»

لم تصلها إجابة فأمسكت بالمقبض وحاولت إدارته لتجده مقفلاً فهزته بيد وباليد الأخرى عاودت الطرق لكن بقوة أكبر وهي تقول: (حاتم)! .. أجب علي!

هنا سمعت (ديم) مواء (ليو) من داخل الحمام مما شوشها قليلاً وقبل أن تستوعب ما يحدث فُتح الباب لترى (حاتم) يقف أمامها باسماً والقط بين ذراعيه فقالت وهي تأخذ (ليو) منه بتجهم ما الذي يحدث هنا؟!

(حاتم) ضاحكاً: قطكِ تبعني للداخل قبل أن أغلق الباب ولم أنتبه له إلا لاحقاً حينما أفزعني

(ديم) بوجه عابس ونبرة مشككة: (ليو) لا يلحق أحداً غيري!





(حاتم): هذا ما حدث ..

سارت (ديم) عائدة لغرفة المعيشة ومن خلفها (حاتم) الذي لاحظ انزعاجها وقال بعد ما جلس على الأريكة ملتقطاً كوب القهوة: ألن تجلسي معي؟

(ديم) وهي واقفة أمامه و(ليو) بين ذراعيها: أنا ذاهبة للنوم لقد تأخر الوقت ..

(حاتم) آخذاً رشفة من قهوته: وأنا سأنام على هذه الأريكة المريحة

(ديم): في الواقع أريد منك الرحيل..

(حاتم) واضعاً كوب القهوة على سطح الطاولة: لكن لماذا؟ .. هل بدر مني شيء

(ديم): بدون سبب .. لن أكون مرتاحة بوجودك هنا .. أرجو أن تتفهم ذلك

(حاتم) وهو ينهض: لكن ..

(ديم): شكراً لاهتمامك .. العاصفة ستهدأ في نهاية المطاف خلال نومي ولن أشعر بها

(حاتم) مقترباً منها بيد ممدودة لوجهها: لا يمكنني الرحيل وأنتِ مستاءة مني هكذا .. أنا ..





خدش (ليو) بمخلبه يد (حاتم) وهو يبخ بغضب..

(ديم) متراجعة بضع خطواتٍ للوراء رافعة كفها المفتوح: رجاءً يا (حاتم) .. ارحل!

نظر (حاتم) لها متأملاً ملامحها المتجهمة للحظات قبل أن يتوجه نحو باب الخروج و(ديم) تسير وراءه حتى وقف وبدأ يفتح الأقفال وهي تراقبه حاملة (ليو) بين ذراعيها لامحة عقارب ساعة الحائط التي أشارت للساعة الواحدة والربع صباحاً وحينما فتحت درفة الباب قليلاً قال (حاتم) دون أن يستدير نحوها: «لقد نسيت شيئاً .. »

(ديم) معيدة نظرها نحوه: نسيت ماذا؟

(حاتم) منزلاً رأسه وببرود: حذائي..

(ديم) وهي تهم بالعودة: سوف أجلبه لـ..

وفي لحظة خاطفة تلقت (ديم) لكمة قوية على وجهها أسقطتها على الأرض مباشرة مع (ليو) لتفقد الوعي في الحال.

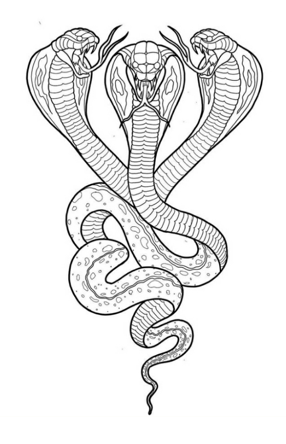








حية ثعبان وأفعى



فتحت (ديم) عينيها عندما أحست بشيء خشن يداعب أنفها لترى (ليو) يلعق وجهها المتورم وهي مستلقية وسط غرفة المعيشة على جنبها وسواعدها قيدت خلف ظهرها وصداع قوي يضج برأسها ولم تكن تسمع شيئاً من حولها سوى أزيز العاصفة المطرية بالخارج والتي فيما يبدو ازدادت سوءاً.

حركت الفتاة المرهقة والمصدومة جسدها قليلاً في محاولة للنهوض لكنها توقفت حينما سمعت صوتاً أنثوياً يحدثها من الخلف قائلاً:





«استيقظتِ أخيراً يا مدللة ..؟»

(ديم) وهي مرعوبة: من؟! .. من أنتِ؟!

حينها شعرت (ديم) بقدم تحط على كتفها وتسحبها للوراء لتستلقي على ظهرها وحينها رأت فتاة غريبة عليها بشعر أسود أملس طويل تقف فوقها تتبسم لها بخبث.

(ديم) بخليط من الاستغراب والشتات: من أنتِ؟! .. وكيف دخلتِ إلى منزلي؟!

لم تجب الفتاة واكتفت بوضع طرف قدمها على فم (ديم) وهي ترفع سبابتها عند شفتيها في إشارة لها بالصمت.

وجهت (ديم) نظرها بعينيها الجزعتين لساعة الحائط ورأت أنها تشير للساعة الواحدة وخمسين دقيقة صباحاً.

وقتها سمعت صوت ضحك (حاتم) مع فتاة أخرى قادماً من المطبخ ولم تمض ثوانٍ حتى خرج بصحبتها وهما يتمازحان وكانت الفتاة سمراء بشعر قصير وقامة قصيرة وبجسد نحيل تغطيه ملابس خفيفة وقصيرة وتضع مساحيق تجميل مبالغاً فيها خاصة الكحل الأسود الكثيف الذي اكتحلت به وحينما رأى (حاتم) الفتاة ذات الشعر





الأسود تقف بقدمها فوق (ديم) توقف عن الضحك وقال بخليط من القلق والاهتمام: ماذا تفعلين يا (رهام)؟!

أجابت الفتاة السمراء القصيرة بجانبه وهي تضحك: يبدو أن أميرتك النائمة استيقظت!

(حاتم) وهو يسكتها بتجهم: اصمتي يا (غدير) هذا ليس وقتكِ!

(رهام) رافعة قدمها عن وجه (ديم) سائرة نحو (حاتم) باسمة وبنبرة ساخرة: ما بك؟ .. هل رق قلبك عليها؟ .. هل ستبدأ بالتخاذل كعادتك؟

سار (حاتم) حتى وصل لـ (ديم) المستلقية على ظهرها بجانب (ليو) المرعوب وركلها على رأسها بقوة لتفقد الوعي مجدداً ثم التفت وراءه تجاه (رهام) وقال بصرامة: «نحن هنا لتأدية مهمة محددة .. وأنا لا أتخاذل ..»

(رهام) مشيرة لـ (غدير) بإحضار شيء ما وهي لا تزال تنظر لأعين (حاتم): سنرى ..

سحبت (غدير) حقيبة سوداء كانت مسندة للجدار تشبه ما يستخدمه المسافرون لنقل ملابسهم وحوائجهم وقربتها من (رهام) التي نزلت على ركبتيها وفتحت الحقيبة كاشفة عن محتواها مخرجة مجموعة من الحبال الملتفة رامية بها جانباً أتبعتها بإخراج أربع ركائز





حديدية ومطرقة كبيرة برأسٍ مفلطح وهي تقول: بقي ساعة على الموعد؟

(غدير): لمَ يجب علينا أن نقوم بذلك تمام الثالثة فجراً؟

(حاتم): هذه تعليمات المعلمة

(غدير): أعرف لكن لماذا؟ .. ما الحكمة من ذلك؟

(رهام) ناهضة متوجهة للأريكة ملقية بنفسها عليها: هذه هي الساعة التي يمكن له فيها الولوج

(غدير): الولوج؟

(حاتم) جالساً بجانب (رهام): هذا علم متقدم لم تتعلميه بعد لأنكِ مستجدة فلا تسألي كثيراً

(غدير) جالسة أمامهما على الطاولة: ومتى سأتعلم أكثر؟

(حاتم) ناظراً لـ (ديم) الفاقدة للوعي: الليلة سترين وتتعلمين الكثير ..

بعد مضي ما يقارب العشرين دقيقة قضاها الثلاثة في الحديث عن أمور جانبية رن الهاتف الثابت بجانبهم فأصيبوا بشيء من التوتر وقالت (رهام):

«من قد يتصل في هذا الوقت؟»





(حاتم) بارتباك: لقد أخبرتني أنها وحيدة وليس لديها أقرباء أو أصدقاء

(غدير): لنتركه إذاً يرن دون أن نجيب

(رهام): نعم فكرة صائبة .. لا يُجبْ أحد منكما عليه

(حاتم): ماذا لو كان أحداً يريد الاطمئنان عليها وإذا لم نجب فقد يقلق ويأتي إلى هنا؟

(رهام): من أين أتيت بهذا التوقع الأحمق؟! .. ألا ترى الوقت ؟ .. سوف يفترض أنها نائمة

مد (حاتم) يده ليلتقط السماعة لكن (رهام) مسكت ذراعه ونظرت في عينه قائلة بحدة وصرامة: لا تفعل!

(حاتم) وهو يبعد قبضتها عن ذراعه: لا شأن لكِ!

التقط (حاتم) السماعة وبقي ينصت بهدوء وبعدها بثوانٍ زفر بارتياح وقال: نعم .. نعم ..

(غدير) وهي تشد طرف لباسه قائلة بصوت مكبوت: من المتصل؟!

(حاتم) يلوح لها بيده لتصمت مكملاً حديثه مع المتصل: كل شيء على ما يرام وهي في قبضتنا .. نحن فقط ننتظر حلول الوقت .. حاضر .. مفهوم





أغلق (حاتم) الخط وأسند ظهره للأريكة بجانب (رهام) التي نظرت له بتعابير متسائلة فقال لها: «إنها المعلمة ..»

(رهام) زافرة بارتياح: وماذا كانت تريد؟

(حاتم): لا شيء .. تريد الاطمئنان إلى أننا أنجزنا الجزء الأول من الخطة بنجاح

(غدير): كيف حصلت على رقم المنزل؟

(حاتم): هل أنتِ حمقاء؟ .. أنا من زودها به بالطبع .. هي تعرف كل شيء يخص هذه المهمة أم أنك نسيتِ أنها المخطط والمدبر الأول لها؟

(غدير): لا لم أنسَ لكنها بالعادة لا تهتم بهذا الشكل حينما كانت ترسلنا في مهمات وتكتفي بسماع النتيجة بعد ما ننتهي

(رهام): كلام (غدير) صحيح .. المعلمة لا تهتم بالعادة بهذا القدر

(حاتم) وهو يتأمل ديم الفاقدة لوعيها: يبدو أن هذه المهمة بالذات ليست كالأخريات ويترتب عليها أشياء كثيرة

(رهام): وهل قالت شيئاً آخر ؟

(حاتم): لم تقل شيئاً مهمّاً





(رهام): ماذا تعني؟

(حاتم): أعني .. لم تقل شيئاً مهمّاً

(غدير): هل تخفي علينا شيئاً يا (حاتم)؟

(حاتم) بعصبية: ما بكما ؟! .. هل تريدان قول شيء؟!

(رهام) بعصبية مماثلة: لا تتغابَ أيها التلميذ المدلل!

(حاتم) ضاحكاً: هذا هو الموضوع إذاً؟!

(رهام) تشيح بنظرها عنه مخرجة علبة سجائر من جيبها: انسَ الأمر ..

(حاتم) خاطفاً العلبة من يدها: لا لن أنساه! .. ما بكِ؟؟

نهضت (رهام) من مكانها وقالت: أنا ذاهبة للحمام ..

(غدير) لـ (حاتم) بعد ما خرجت (رهام) من المكان: لم أرَها تتحدث معك بهذا الشكل من قبل؟

(حاتم) باسماً وبنبرة ساخرة وهو يحدق بالممر الذي سارت به رهام: الغيرة؟

(غدير) بتساؤل: غيرة؟ .. غيرة من ماذا؟





(حاتم) فاتحاً علبة السجائر مخرجاً الولاعة من وسطها: من اهتمام المعلمة بي أكثر منها ..

(غدير) تنهض من مكانها وتجلس بجانبه: لم ألاحظ ذلك من قبل

(حاتم) مشعلاً سيجارة نافخاً سحابة من الدخان: لأنه شيء لا وجود له سوى برأسها

(غدير) وهي تأخذ السيجارة من بين أنامله وتسحب منها نفساً: أعتقد أن الأمر له علاقة بشيء آخر

(حاتم) ملتفتاً إليها باهتمام: شيء مثل ماذا؟

(غدير) مسندة كفها لذقنها سارحة في الممر نافخة بعض الدخان من منخارها: لا أعرف..

(حاتم): أنتِ أجد عضو في مجموعتنا ولن تفهمي طبيعة العلاقة بيننا لكن مع الوقت ستدركين أن المنافسة تخلق بعض الغيرة والتوتر أحيانًا

(غدير): بالمناسبة .. كم عددنا؟

(حاتم) مستعيداً السيجارة منها: تقصدين التلاميذ؟

(غدير): نعم





(حاتم): خمسة .. لكن أظن أن المعلمة تملك مجاميع غيرنا

(غدير): وكيف عرفت؟

(حاتم): مجرد إحساس..

(غدير) ضاحكة: المعلمة تخيفني أحياناً!

(حاتم) وهو يراقب (ليو) يقترب منهما لأن الدخان لفت نظره: لماذا؟

(غدير) ملتقطة (ليو) ماسحة على رأسه:

«طريقتها في الحديث والتعامل معنا غريبة وتشعرني بالتوتر .. أشعر بأنها لا تملك رحمة في قلبها ومستعدة للتضحية بأي شيء أو أي شخص يقف في طريقها .. ولا تهاب أحداً ..»

(حاتم): أتفق معكِ في كل ما قلتِه عدا نقطة أنها لا تهاب أحداً..

(غدير): ومن تهاب المعلمة؟

(حاتم) نافخاً سحابة من الدخان سارحاً في النافذة المبتلة بقطرات المطر:

«معلمها السابق .. هي لم تذكره إلا مرة واحدة لنا لكني رأيت وقتها الرهبة في عينيها خلال حديثها عنه .. »





(غدير) ضاحكة وممازحة: ربما يجدر بنا التعلم عنده بدلاً عنها!

(حاتم) ملتفتاً إليها وبنبرة جادة: لا تقولي ذلك أبداً أمامها ولو من باب المزاح! .. وإلا وجدتِ نفسكِ مكان تلك الفتاة المقيدة!

(غدير) برهبة ووجل: حاضر ..

(حاتم) ناظراً لـ (ليو) المتأمل للسيجارة بين يديه: ما بك أيها السمين؟ .. هل تظنها طعاماً؟

(غدير) مقبلة رأس (ليو): هل يمكنني الاحتفاظ به بعد ما ننتهي؟

(حاتم) مقرباً جمرة السيجارة من أنف (ليو): لن يبقى شيء هنا لتحتفظي به وقت رحيلنا ..

قفز (ليو) من حجر (غدير) مصدراً صوتاً متألماً بعد ما أحرق (حاتم) أنفه ..

(غدير) بخليط من العتب والحزن: لمَ فعلت ذلك له؟!

(حاتم) نافخاً سحابة من الدخان: كي يتأدب ولا يخدش أحداً بمخالبه مرة أخرى

(غدير): لكنه مجرد حيوان مسكين!





(حاتم) مطفئاً السيجارة بسطح الطاولة: هل أنتِ جادة؟ .. نحن سنقوم بما هو أفظع بعد قليل .. استجمعي نفسك وشدي من عزيمتك ولا تكوني هشة

صمتت (غدير) لبضع دقائق تتأمل (ديم) الغافية ثم قالت بشيء من التردد: هل حقّاً سنفعل بها ما طلبته المعلمة؟

(حاتم) بلا اكتراث: نعم وما المشكلة؟

(غدير) موجهة نظرها نحو (حاتم): لا مشكلة عندي على الإطلاق لكن ..

(حاتم): لكن ماذا؟ .. إن كان لديكِ أي تردد فتحدثي الآن كي لا تفسدي الأمر حينما نبدأ

(غدير): لا لا .. لم تفهم ما أعنيه .. أقصد .. هل يحق لي الاستمتاع؟

(حاتم) باستغراب: تستمتعين بماذا؟

(غدير): بما سنفعله بها ..

(حاتم): لا أظن أن هناك مانعاً .. المهم ألا يصيبكِ أي نوع من التعاطف معها لأن ذلك كما أخبرتك سيعكر العملية وقد يفسدها

(غدير) باسمة بخبث: لا تقلق من هذه الناحية .. فأنا متحمسة أكثر منكما





في تلك اللحظة عادت (رهام) لغرفة المعيشة ووقفت أمام ساعة الحائط تتأملها وهي تقترب من الثانية والنصف صباحاً وقالت: هيا . هيا .. تحركي بسرعة!.

(حاتم) واضعاً ساقاً على ساق وذراعاه خلف ظهر الأريكة: إلى من تتحدثين؟

(رهام) رافعة كفها المفتوح تجاه الساعة وبنبرة غاضبة: لعقارب تلك الساعة اللعينة! .. أشعر أنها لا تتحرك! .. ربما تكون معطوبة!

(حاتم) معتدلاً في جلسته مخرجاً هاتفه النقال من جيبه رافعاً شاشته أمام وجهه قائلاً: الساعة سليمة والوقت دقيق ..

(غدير): لمَ لا تجلسين معنا حتى يحين الوقت؟

(رهام) ملتفتة إليهما: لا أستطيع ! .. أنا متوترة! !

(حاتم) معيداً الهاتف لجيبه: متوترة من ماذا؟

(رهام): هذه المهمة هي أول اختبار حقيقي لنا كما قالت المعلمة ولو نجحنا ..

(حاتم) مقاطعاً: فستفعل هالاتنا..

(رهام) بحماس: نعم .. لقد انتظرت طويلاً ولن أسمح لشيء أن يضيع مني هذه الفرصة ..





(حاتم): ليس كالمدة التي انتظرتها أنا

(غدير): ماذا عني؟ .. لمَ لن تفعل المعلمة هالتي أيضاً؟

(حاتم): يجب أن تتجاوزي مراحل قبلها وفي الحقيقة أنا مستغرب أنها طلبت منا أخذكِ معنا لهذه المهمة فهي متقدمة كثيراً عليكِ

(غدير) بغرور: ربما لأنها رأت بي شيئاً لم تَرَه بكما

(رهام) بتهكم: بملابسك هذه الجميع يستطيعون رؤية كل شيء

(غدير) بتجهم: ما بها ملابسي؟! .. أنا على الأقل لا ألبس لباساً واسعاً بأكمام طويلة لأخفي جسدي المترهل!

(حاتم) صارخاً بهما: توقفا! .. هذا ليس وقت المشاحنات! .. فلنمضِ الوقت المتبقي في تجهيز المكان والعتاد!

(رهام) تهز سبابتها تجاه (حاتم): فكرة صائبة! .. هيا قيداها أنتما حسب الطريقة التي اتفقنا عليها

(حاتم) ناهضاً من مكانه: وماذا ستفعلين أنتِ؟

سحبت (رهام) الحقيبة السوداء وأخرجت كماشة كبيرة منها وتأملت أطرافها الصدئة قائلة: «أنت تعرف ماذا سأفعل ..» سار (حاتم)





متوجهاً نحو (ديم) وحملها وأوقفها قابضاً على فكها يهزه بقوة حتى أفاقت بأعين زائغة بينما قامت (غدير) بحل الحبل الملفوف على معاصمها وحينما استوعبت (ديم) ما يحدث قالت بصوت مختنق بالعبرات:

«ما الذي يحدث يا (حاتم)؟! .. من هاتان؟! .. ولمَ ضربتني؟!»

(حاتم) بوجه متبلد: حاولي أن لا تفكري أو تقاومي كي ينتهي الأمر بسرعة ..

(ديم) بوجه مشتت وتائه: عن ماذا تتحدث؟

(غدير) هامسة في أذنها وهي ترمي بالحبال أرضاً: «عن الطقوس ..»

(ديم): أي طقوس؟!

(حاتم) وهو يشد جسد (ديم) لصدره مقربًا أنفه من أنفها: ستعرفين بعد قليل ..

في تلك اللحظة استغلت (ديم) تحررها من قيودها ودفعت بكفيها صدر (حاتم) بقوة ليسقط على قفاه أتبعتها بصفعة مباغتة لـ (غدير) الواقفة بجانبها وجرت مهرولة تجاه السلالم المؤدية للطابق العلوي متوجهة لغرفتها. نهض (حاتم) صارخاً بغضب سان با سال في الفتاتين: الحقا بها!





جرى الثلاثة خلفها لكنهم لم يلحقوا أن يقبضوا عليها لأنها تمكنت من دخول غرفتها وإغلاق الباب خلفها. بدأت (ديم) تبحث من حولها عن شيء يمكنه أن يكون وسيلة للدفاع به عن نفسها أو سلاح تحتمي به لكنها لم تجد شيئاً ذا نفع وخلال بحثها كان (حاتم) يحدثها من وراء الباب وهو يطرقه بقوة ويخاطبها بنبرة غاضبة:

«افتحي الباب يا (ديم)!! .. افتحيه وإلا فستكون عاقبتكِ وخيمة!!»

(رهام) بعصبية: الوقت يمضي وقد نفوت الموعد!!

(غدير): الغبية سوف تفسد كل شيء!

(حاتم) معاوداً التهديد: إذا لم تخرجي حالاً فسأحرق المنزل بما فيه!

لم ترد الفتاة المنهكة والمنهمكة في البحث وبعد فترة وجيزة وقع نظرها على النافذة فسارت نحوها وحلت القفل وفتحتها ووضعت كفيها على أطرافها تتأمل الارتفاع عن الأرض بينما كانت السحب السوداء تنهمر والسماء تبرق وترعد بقوة والثلاثة خلف الباب يصرخون ويتوعدون. قررت (ديم) في النهاية المخاطرة والقفز وحينما رفعت قدمها الحافية ووضعتها على طرف النافذة سمعت صوتاً رابعاً آتياً من خلف الباب جعلها تتوقف عن المضي قدماً في نيتها..





صوت مواء (ليو)..

(حاتم) بنبرة جنونية متوعدة: إذا لم تفتحي الباب الآن فسوف أفصل رأس هذا القط عن جسده!!

بالرغم من معرفتها المسبقة بما سيحل بها لو استجابت لتهديدهم إلا أنها لم تتمكن من الهرب وترك قطها تحت رحمة هؤلاء المجانين وأيقنت أنها لن تتحمل أن يصاب بأي أذىً لذا عادت أدراجها وقررت فتح الباب لهم.

وما أن فعلت حتى وجدت (حاتم) يقف أمامها بوجه متجهم يستشيط غضباً وهو يناول القط لـ (رهام) ويقبض يده موجهاً لـ (ديم) لكمة قوية قائلاً:

«سوف أستمتع بما سيحل بكِ!»

سقطت (ديم) على الأرض فاقدة سنّاً والوعي مرة أخرى وحينما فتحت عينيها نظرت من حولها بوجهها المتورم ووجدت نفسها معلقة في الهواء بشكلٍ منبسط في غرفة المعيشة مربوطة من أطرافها الأربعة بحبال شدت على سواعدها وكاحليها وثبتت بمركازٍ حديدي لكل زاوية من زوايا الغرفة مما رفعها عن سطح الأرض بضعة أقدام ليصل جسدها المعلق عند مستوى خاصرة الواقفين حولها والذين





حدقوا بها بوجوهٍ متبلدة وباردة وبيد كل واحدٍ منهم آلة مختلفة. لاحظت كذلك أن ملابسها قصت ومزقت بطريقة كشفت معظم أجزاء جسدها.

(ديم) وهي في حالة من الضياع والذهول والألم يتصاعد من أطرافها بسبب شدة العُقد المعقودة عليها والحاجبة لجريان دمها بشكل طبيعي: «ماذا تفعلون أيها المجانين؟!»

(غدير) ناظرة لساعة الحائط التي أشارت للثالثة إلا دقيقة: «بقي دقيقة ..»

صوت هطول الأمطار يتصاعد في الخارج مشحوناً بضربات البرق والرعد بين الفينة والأخرى ..

لعقت (رهام) شفتيها بلسانها وهي تشد على سكين حادة بيدها وبأعين تتفجر جنوناً وقالت: «أنا جاهزة!»

(حاتم) ونظره مرتكز على بطن (ديم) المكشوف:

«من سيبدأ؟»



(غدير) وهي ترفع معول ثلج كانت تمسك به وتغرسه بقوة في فخذ ديم حينما دقت الساعة الثالثة تماماً: «أنا!»

صرخت (ديم) صرخة مدوية مشبعة بالوجع صدحت في أرجاء المكان مما دفع قطها الذي كان مختبئاً خلف الأريكة للخروج والمواء بطريقة تشبه البكاء أو الاستنجاد لكن (حاتم) أصمته بركلة قوية بحذائه السميك ملقياً به بعيداً في أقصى المكان.

انتبهت (ديم) لما فعله (حاتم) فصرخت فيه وهي تبكي بحرقة ولعابها يسيل من فمها:

«لا تمسه أيها الحقير!»

(رهام) ماسحة بكفها على بطن (ديم) المكشوف: «لا تقلقي بشأن قطكِ القذر واهتمي أنتِ بشؤونكِ وما سيحدث لكِ الآن ..»

بدأت (رهام) برسم بعض الرموز الغريبة برأس السكين على بطن (ديم) وحول سرتها وهي تصرخ وتئن مزمجرة من شدة الألم ..

(غدير) ضاحكة: ما هذا الصوت الذي تصدره؟!

(حاتم) متهكماً: كأنها بقرة تخور ..

(رهام) مكملة الرسم باسمة: اصمت وأخرج الشموع





مد (حاتم) يده في الشنطة السوداء التي كانت تحت أقدامهم وأخرج ثلاث شموع سوداء أشعلها بقداحة سحبها من جيبه ومد شمعة لكل واحدة وبدأ الجميع بتقطير الشمع الذائب على أجزاء متفرقة من جسدها متجاهلين صرخاتها وتوسلاتها لهم بالتوقف. في ذلك الوقت بدأت قوى (ديم) تخور وتتهاوى ولم تعد تصرخ كالسابق وبدا عليها أنها وصلت لحافة الموت لكن ذلك لم يمنع الثلاثة من إخراج كيس من الملح ورشه على جروحها المفتوحة التي رسمتها (رهام) بالسكين لزيادة معاناتها أكثر.

(رهام) لـ (حاتم) وهي تمرر قبضتها فوق جسد (ديم) المعلق وترخيها تدريجياً لذر الملح وتوزيعه على جروحها: ألا تعتقد أنها وصلت للمرحلة الأخيرة؟ .. لا نريد أن تموت فجأة قبل الطقس الختامي

(حاتم) ماسحاً كفيه لإنزال ما تبقى من الملح على وجه (ديم): حسناً سأحضر الكتاب..

أخرج (حاتم) من الحقيبة كتاباً جلديّاً قديماً مهترئاً وفتحه على صفحة معينة وقال:

«هيا .. ارسما الرموز كي تكتمل عملية الهدم ..»





أخذت الاثنتان مشارط طبية حادة ونحيفة من الحقيبة السوداء ووقفت (غدير) عند قدم (ديم) اليسرى و(رهام) عند اليمنى واضعتين كفوفهما تحت كاحليها وبدأت كل واحدة منهما ترسم رمزاً برأس المشرط على باطن قدمها.

(حاتم) ونظره لسطور الصفحة التي فتحها: أنا جاهز..

(غدير) رامية بالمشرط جانباً: أنا انتهيت!

(رهام) بتركيز وهي تعض على شفتها خلال الشق بالمشرط: أمهلني ثواني فقط

أخرجت (غدير) من الشنطة مقصّاً كبيراً وسميكاً وقالت: بينما تنتهين سوف أقص شعرها المستفز!

(رهام) رافعة السكين: انتهيت! .. هيا رتل الطلاسم!

بدأ (حاتم) بترديد بعض الكلمات بلغة غريبة بينما وقفت (رهام) عند بطن (ديم) المكشوف والمشقق ومسحت عليه بكفها الملطخ بدماء قدمها وهي تبصق على وجهها من وقت لآخر و(غدير) منهمكة في قص خصلات شعر (ديم) التي بالرغم من تعبها لم تتوقف عن الاستغاثة والاستنجاد بصوت خفيض ومكسور لكنها في النهاية دخلت في حالة من الاستسلام والتبلد وكأنها قد من شارفت على الموت.





أنهى (حاتم) ما كان يتلو وأغلق الكتاب قائلاً: «انتهت المرحلة الأولى ..»

(رهام) موجهة نظرها للساعة التي أشارت للثالثة وأربعين دقيقة: «لقد هدمنا الحصن وبقي أن نفتح البوابة فقط ..»

(غدير) وهي تهم بقطع أذن (ديم) بالمقص بعد ما فرغت من شعرها: ومن سيقوم بذلك؟

(رهام) ملتقطة السكين من على الأرض وتمدها لـ(حاتم): التلميذ المفضل كما وجهت المعلمة بالطبع..

(غدير) واقفة بجانبه: هيا ماذا تنتظر؟!

أخذ (حاتم) السكين الملطخة بدماء (ديم) التي كانت ترتجف وتهز جسدها بعنف خلال بتر ونزع (غدير) لأذنها وقال لـ (رهام): أحضري القط

تبسمت (رهام) وسارت نحو (ليو) المستلقي عند مدخل المطبخ وهو يتنفس بسرعة بفم مفتوح ولسان يتدلى بسبب إصابته من ركلة (حاتم) وحملته بين ذراعيها ماسحة عليه بأناملها الدامية وهي تهمس في أذنه: «لا تقلق .. سوف ترتاح من ألمك ياسميني الصغير .. لن نتركك تعاني لمدة طويلة وأنت تحتضر ..»





رفعت (رهام) القط المتعب من خلف عنقه فوق بطن (ديم) ناظرة للساعة التي أشارت للثالثة وخمس وخمسين دقيقة وهي تقول لـ (حاتم):

«هيا .. لم يتبق على انقضاء ساعة الشيطان سوى خمس دقائق ..»

(حاتم) واضعاً نصل السكين أسفل رقبة (ليو) قائلاً:

هل أنحره أم أشق بطنه .. أعتقد أن العنق ستفور منه دماء أكثر.. ما رأيكِ؟

(رهام) وهي تهز جسد (ليو): فقط تيقن من أن دماءه تنزف على الرموز وإلا فلن تفتح البوابة

(حاتم): لا تقلي سوف تسكب كل قطرة في مكانها

(ديم) صارخة بعد ما شاهدت قطها يتدلى فوقها: لا! .. لا تؤذوه!

(غدير) تصفق بحماس: حانت لحظة الحسم . . لا أستطيع الانتظار أكثر !

(حاتم) مقرباً نصل السكين من رقبة (ليو): اصمتي أنتِ وفكري بما سيحدث لك حينما تكتمل الطقوس!

(غدير) تراقب بأعين جنونية: لم أشاهد قطّاً يذبح من قبل!





(رهام) تشاركها النظر باسمة للقط الذي بدأ يئن بصوت خفيض وأعين مغمضة: لا يختلف الأمر عن نحر دجاجة ..

(حاتم) بعصبية قبل أن يسحب النصل عبر عنق (ليو): هل يمكن أن تصمتا كي اركز؟!

قبل أن يُتم (حاتم) ما كان ينوي القيام به انقطع تركيزهم حينما سمعوا درفة باب المدخل الرئيس ترتطم بقوة بالجدار تبعها ارتفاع صوت العاصفة الهوجاء بالخارج ..

وجه الجميع أنظارهم نحو مدخل المنزل بمن فيهم (ديم) والتي فقدت الوعي مباشرة حينما رأت من كان يقف عند الباب ..









صباحٌ ماطر



فتحت (ديم) عينها لتجد نفسها مستلقية في غرفة على فراشٍ أبيض..

المكان منار بنور الشمس البسيط القادم من النافذة ..

دُبها يجلس مستقرّاً أمامها على نهاية طرف السرير ..

أصوات أمطار قوية تهطل في الخارج ..

رجل يسحب رأس سرنجة من ذراعها بعد ما حقنها بمصل ما ..

حينما رأى أنها أفاقت تبسم لها قائلاً:

«كيف حالك الآن؟»





(ديم) تبادله الابتسام برأس مضمد ووجه متورم مليء بالجروح بعد ما تعرفت عليه:

«أنا بخير يا دكتور .. هل أنا بالمستشفى؟»

(الطبيب): لا، أنتِ بمنزلكِ .. بغرفتكِ .. كنتِ فاقدة للوعي لثلاثة أيام لكننا تمكنا من إسعافكِ في الوقت المناسب

جالت (ديم) بنظرها في الغرفة لتجد أنها تحولت لما يشبه غرفة العناية المركزة بالمستشفيات وبعض الأجهزة وصلت بها فقالت: لا أذكر كثيراً مما حدث .. كل ما أذكره ..

(الطبيب): لا تفكري بما حدث الآن فهذا غير مفيد لصحتكِ .. ركزي فقط على التعافي

(ديم) رافعة كفها بصعوبة وثقل محاولة المسح على بطنها: جسدي يؤلمني..

(الطبيب): لقد حقنتكِ للتو بمسكن قوي وسيزول الألم تدريجياً

صمتت (ديم) ولم ترد لكنها بقيت سارحة أمامها بوجه تائه ومشتت..





(الطبيب) مشيراً لفتاتين بملابس تمريض واقفتين بجانب سريرها: ستبقيان معكِ وسوف تلبيان كل طلباتكِ وتعتنيان بكِ حتى أعود في المساء للاطمئنان عليكِ

(ديم) بفزع وكأنها تذكرت شيئاً: أين (ليو)؟!

وقتها دخل رجلٌ أصلع ضخم بوشم عقرب على عنقه يلبس بدلة رسمية سوداء ونظارة طبية وهو نفسه الشخص الذي شاهدته (ديم) عند عتبة الباب قبل إغمائها وكان يحمل (ليو) بين ذراعيه وبطنه ملفوف بضمادة بيضاء وسار به حتى وضعه على صدرها قائلاً بصوتٍ غليظ:

«سيكون بخير هو الآخر ..»

احتضنت (ديم) قطها وقبلته وبدأت تبكي بحرقة قائلة:

«شكراً يا (كمال)!»

(كمال) يشير للطبيب باللحاق به للخارج..

حينما وقف الاثنان بالممر الذي امتلأ بالرجال المسلحين قال (كمال): كيف هي الآن؟





(الطبيب): في الحقيقة حالتها مقلقة لكنها بدأت بالتعافي .. لو كانت بالمستشفى حيث العناية أفضل سيكون ذلك

(كمال) مقاطعاً: الآنسة (ديم) لن تخرج من هنا .. هذه أوامر والدها .. قم بواجبك فقط وأي شيء تحتاجه سيوفر لك .. أنت طبيب العائلة منذ سنوات وتعرف حساسية الوضع

(الطبيب) منزلاً رأسه: أعرف .. لكنها قد تحتاج لإجراء عملية

(كمال): قم بكل ما تستطيع كي تتماثل للشفاء هنا .. هذه أوامر سيدي وسيدك

(الطبيب) وهو يهم بالرحيل: مفهوم .. مفهوم .. سأعود في المساء لإعطائها جرعاتها من الأدوية والمسكنات ولو حدث أي شيء طارئ فالممرضتان ستتصلان بي

نزل الطبيب للطابق السفلي خارجاً من المنزل تاركاً (كمال) يعود لغرفة (ديم) وحينما دخل عليها وجدها مغمضة العينين و(ليو) مستلقٍ على بطنها يلعق كفه. سحب كرسيّاً بهدوء وجلس بجانبها وأشار للممرضتين بالخروج. بقي (كمال) يراقب (ليو) باسماً بصمت حتى فتحت (ديم) عينها وحينما رأته تبسمت وقالت:

«هل أبي غاضب؟ »

(كمال) خالعاً نظارته الطبية: السيد قلق عليكِ





(ديم): ما الذي حدث ؟ .. أنا لا أفهم شيئاً

(كمال): لا تشغلي بالكِ لقد انتهى الأمر .

(ديم): كيف عرفت ..؟

يشير (كمال) بسبابته للدب أمامها..

(ديم) وهي تحدق بأعين الدب: فهمت.. أبي كان يراقبني

(كمال): كان يحميكِ ..

(ديم) مشيرة لأذنها المضمدة ووجهها المتورم: هل ترى أنه نجح؟

(كمال): بالتأكيد وإلا لما كنا نحظى بهذا الحديث الآن .. وعلى أي حال لن يتكرر ما حدث مجدداً .. أعدكِ بذلك

(ديم) محتضنة (ليو): أنا لن أرحل من المدينة قبل أن أنهي دراستي وأتخرج

(كمال): لا أحد يطلب منكِ ذلك لكننا سنبقى معكِ حتى ذلك اليوم

(ديم): لدي محاضرة اليوم ..

(كمال): حالتكِ لا تسمح

(ديم) حاملة (ليو) محاولة النهوض: أنا من يقرر..





(كمال) واضعاً كفه الكبير على كتفها برفق محدقاً بعينها وبنبرة صارمة لكن مهذبة قائلاً بصوته الغليظ: «حالتكِ لا تسمح ..»

أسندت (ديم) ظهرها للوسادة وخاطبت الدب أمامها وقالت:

«شكراً يا أبي .. أنا لست مستاءة مما فعلته ..»

مضت الأيام والأسابيع وتحسنت حالة (ديم) وتعافت بشكل شبه كامل وبسبب العناية الفائقة التي حصلت عليها بالمنزل لم تحتج لتلك العملية التي أوصى بها الطبيب في بداية تشخيصها. أغلب جروحها التأمت لكنها خلفت وراءها ندوباً مشوهة كثيرة على وجهها وأجزاء متفرقة من جسدها وأذنها التي بُترت وبالرغم من استعادتها لم يتمكن الطبيب من إعادتها كالسابق لكن الآثار الجسدية بالنسبة لـ (ديم) لا تقارن وتهون عند الأثر النفسي الذي خلفته تلك الحادثة فقد تغيرت كثيراً وكأن تلك الليلة الماطرة كانت نقطة تحول جذرية في تبدل شخصيتها من فتاة بريئة ترى الخير في الناس إلى .. شيء آخر .

اضطرت (ديم) للانسحاب من الجامعة لفصل دراسي مؤقتاً خلال فترة تلقيها العلاج وبالرغم من أن والدها حاول إقناعها بعدم العودة خوفاً من تعرضها للمضايقة بسبب ندوب وجهها إلا أنها أصرت على إكمال دراستها وفي الجامعة نفسها التي التقت فيها بـ (حاتم) مبررة ذلك بأنها لن تسمح للخوف بالسيطرة على حياتها وأنها أقوى من ذي





قبل لكن ذلك بالطبع لم يتم إلا بشروط أبيها الصارمة بأن تكون محاطة بالحراسة والرقابة على الدوام وهي بالمقابل لم تمانع.

صباح أحد الأيام طرق (كمال) باب غرفتها مستأذناً بالدخول وبعد ما أذنت له فتح الباب وتقدم ونظره للأرض وحينما رفعه وجد (ديم) جالسة على طرف السرير تتصفح وتُقلب شاشة هاتفها الذكي و(ليو) بحجرها يراقب معها ويلمس الشاشة بكفه من وقت لآخر.

(كمال): لم أعد أرى وجهكِ كثيراً منذ أن اشتريتِ هذا الجهاز

(ديم) رافعة وجهها المليء بالندب ناظرة لـ (كمال): وهل ترى شيئاً يستحق التأمل في وجهي؟

(كمال): تستخدمين هذا الجهاز كثيراً بالنسبة لشخص لا يملك الكثير من الأصدقاء

(ديم) معيدة نظرها لشاشة الهاتف: هناك استخدامات أخرى له .. البحث في هذا الفضاء الواسع مثير للاهتمام

(كمال): أنا أعرف أنك تبحثين عن سبب أو تفسير لما حدث .. لكن دعيني أخبرك مسبقاً أنكِ لن تجدي سوى سبب واحد

(ديم) وهي تتصفح هاتفها: وما السبب أو التبرير المنطقي الذي يجعل إنساناً يفعل بإنسان آخر ما فُعل بي ..





(كمال): أن الشر متأصل في نفوس الناس والخير هو الاستثناء ..

(ديم) رافعة رأسها: أنا لا أتفق معك ..

(كمال): ومنذ متى تتفق الملائكة مع الشياطين ؟!..

(ديم) ناهضة من مكانها: أريد الخروج اليوم

(كمال): إلى أين؟

(ديم): إلى أي مكان .. لقد مللت البقاء بين أربعة جدران .. أريد رؤية السماء واستنشاق هواء نقي

(كمال): اليوم الشمس متوارية خلف الغيوم الكثيفة والسماء تمطر

(ديم): هذا سبب اختياري لهذا اليوم بالذات للخروج

(كمال): حسناً كما تشائين لكن يجب أن نبلغ السيد قبلها

(ديم): افعلوا ما تريدون .. أريد أن تكون السيارة جاهزة خلال نصف ساعة

(كمال) حانياً رأسه قبل الخروج: أمركِ

خلال أقل من نصف ساعة كان كل شيء جاهزاً ومعدّاً لخروج (ديم) من المنزل لأول مرة منذ ليلة الحادث ..





خرجت (ديم) من غرفتها حاملة حقيبة جلدية صغيرة معها ونزلت عبر السلالم بحذر وتوجس و(كمال) من ورائها برفقة حارسين آخرين وحينما وصلت لنهاية السلم وتحديداً عند مخرج غرفة المعيشة توقفت ..

(كمال): هل هناك شيء يا سيدتي؟

أخذت (ديم) نفساً عميقاً وهي تتأمل المكان الذي أعيد تأثيثه بالكامل والدب الذي وجهت بإعادته لمكانه فوق التلفاز: «لا ..»

أكملت الفتاة سيرها نحو باب المنزل وحينما وصلت إليه فتحه لها أحد الحراس المنتشرين بالمكان ..

وقفت (ديم) عند عتبته تتأمل السماء الممطرة الملبدة بالغيوم ر والطريق المؤدي لسيارتها والذي انتشر على جانبيه عدد كبير من الحراس المسلحين الواقفين بشكل منتصب ومتأهب فقالت بخليط من الخيبة والحزن:

«لم أشتق للعودة لهذه الحياة ..»

(كمال) وهو يفتح مظلة ويبسطها فوق رأسها: سنحاول ألا نشعركِ بوجودنا قدر الإمكان

(ديم) وهي تهم بالسير: ما أراه أمامي ليس بداية موفقة ..





سارت (ديم) على الأرض المبتلة حاملة حقيبتها على كتفها وحينما وصلت عند السيارة وجدت امرأة طويلة القامة ضخمة البنية تفتح لها الباب الخلفي بعد ما أخذت حقيبتها منها فالتفتت نحو (كمال) وقالت: من هذه؟

(كمال): هذه (نجيبة) .. ستكون مرافقتكِ

(ديم): ترافقني إلى أين؟

(كمال): إلى أي مكان تشائين الذهاب إليه وستكون كذلك معكِ حينما تعودين للجامعة بعد أسبوع .. نجيبة حارسة متمكنة ولن يقترب أحد منك وهي برفقتكِ

بالرغم من عدم تقبل (ديم) لهذا الوضع الا أنها صمتت وبقيت واقفة تتأمل المرأة التي كانت تلبس لباساً رجاليّاً رسميّاً وعلى خاصرتها ثبت سلاح ناري صغير ..

(كمال) وهو لا يزال ممسكاً بقصبة المظلة فوق رأس (ديم): هل هناك شيء تريدينه قبل أن ترحلي؟

(ديم) قبل أن تركب: لا .. هيا يا (نجيبة) كي لا نتأخر

أغلقت (نجيبة) الباب وراء (ديم) بعد ركوبها وسارت للجهة الأخرى وركبت في المقعد الأمامي بجانب السائق المسلح وأشارت له بالتحرك..





عد رحيلهم أشار (كمال) لأحد الحراس بالاقتراب منه وحينما فعل ووقف بجانبه تحت المظلة قال له: اتبعها أنت وتسعة حراس بسيارتين لكن لا تدعها تشعر بكم .. (نجيبة) على علم مسبق بهذا التنسيق وسوف تتواصل معك لو احتاجت لكم

(الحارس) حانياً رأسه: أمرك ..

تابع (كمال) الحارس وهو يشير لمجموعة من زملائه بركوب سيارتين سوداوين من أصل خمس مركونة على ناصية الشارع وبقي يراقبهم حتى رحلوا. أغلق (كمال) المظلة وناولها لحارس بجانبه ثم سار عائداً أدراجه نحو المنزل ودخل لغرفة المعيشة وحينما وجد الحراس الذين كانوا موجودين في الطابق العلوي مجتمعين وجههم قائلاً:

«اخرجوا للخارج وغطوا أماكن زملائكم الذين رحلوا مع الآنسة (ديم)..»

أجابه الحراس بصوت واحد قبل أن يرحلوا تباعاً: «حاضر!»

جلس (كمال) على الأريكة وبدأ يحدق بالدب فوق التلفاز بصمت حتى رن هاتفه ليخرجه من جيبه مجيباً: «نعم يا سيدي .. لا لم أخبرها .. لا تقلق .. اترك الأمر لي .. »

أغلق (كمال) الخط ولم ينهض مباشرة وخلع نظارته عاقداً أصابعه حانياً ظهره الضخم للأمام بوجه متفكر..





بينما كان على تلك الحالة سمع مواء (ليو) وهو ينزل من الطابق العلوي ببطء على درجات السلم فنهض من مكانه والتقطه وقرب أنفه عند أنفه وقال له بتودد:

«أنت الآن بحال أفضل مما وجدتك عليه تلك الليلة ..»

لعق (ليو) أنف (كمال) وأتبعه بمواء ..

(كمال) منزلاً القط على الأرض: حسناً .. حسناً .. سأطعمك الآن

حينها لاحظ (كمال) أن كتلة كبيرة من الشعر الأبيض علقت براحة يده فمسح على ظهر القط قائلاً: هل أنت بخير يا (ليو)؟

بدأ (ليو) بلعق الأرض والتقلب فوقها بطريقة غريبة فقال (كمال) باسماً: لا داعي لذلك .. اتبعني للمطبخ

دخل (كمال) المطبخ وسحب علبة طعام من الخزانة وفتحها وأفرغ محتواها في طبق (ليو) الخاص وبقي يراقبه وهو يتناول وجبته وخلال ذلك دخل أحد الحراس المطبخ وقال:

«اتصلت (نجيبة) وأبلغتنا بأنها مع الآنسة (ديم) نزلتا عند أحد المجمعات التجارية ..»





(كمال) دون أن يحيد بنظره عن (ليو) المنهمك بتناول طعامه: جيد .. أكد على الحراس الذين تبعوها بأن يبقوا على مسافة آمنة منها دون أن تلاحظهم وأنا سأخرج في مهمة بعد قليل

(الحارس): هل تحتاج أن يرافقك أحد؟

(كمال): لا هذه مهمة سأنجزها وحدي حسب توجيهات السيد .. قد أتأخر قليلاً لكني سأحاول الرجوع قبل عودة الآنسة (ديم) .. اهتم أنت وزملاؤك فقط بتأمين المكان وامنع أي أحد من الدخول أو الزيارة قبل عودتي

(الحارس) حانياً رأسه قبل أن يرحل: أمرك!

نزل (كمال) متقرفصاً عند رأس (ليو) ومسح عليه قائلاً:

«يوم الحساب حان يا (ليو) ..»









الملاك الحارس



رحل (كمال) بعد ما أخذ الدب من فوق التلفاز وأمضى النهار بأكمله في الخارج هبط خلالها الليل بأستاره جالباً معه غيوماً سوداء هطلت بكل قوتها على المدينة صاحبها برق ورعد لم يهدأ وكأن نهاية العالم قد اقتربت. عند باب منزل (ديم) وقبل دخول (كمال) دنا أحد الحراس منه وقال تحت زخات المطر المنهمرة:

«الآنسة (ديم) لديها ضيف وهي معه بالداخل وأمرتنا بعدم إزعاجها..»

(كمال) بتجهم: ضيف؟! .. هل أنت أحمق؟! .. ألم تكن تعليماتي واضحة بأن لا تقابل أحداً دون علمي؟!

(الحارس): أعرف يا سيدي لكنها هي من أمرتنا بالسماح له بالدخول حينما وصل ولم نستطع الاعتراض





(كمال) وسخطه يتزايد: ومن يكون هذا الضيف؟!

(الحارس) وهو متوتر من غضب (كمال): لا أعرف .. رجل ما اقترب من المنزل وطلب مقابلتها وحينما اعترضناه ورفضنا خرجت هي ووجهتنا بالتنحي عن طريقه

(كمال) دافعاً بالحارس جانباً بعنف: حمقى!!

فتح (كمال) باب المنزل بقوة والعاصفة المطرية ترعد وتبرق من خلفه ووقف بجسده المبتل يتنفس بغضب وهو يرى رجلاً يجلس أمام ديم في غرفة المعيشة يمسح على (ليو) المستقر في حجره فقال بنبرة ساخطة: من أنت؟!

(ديم) بهدوء وصرامة: (كمال) .. من سمح لك بالدخول؟

(كمال) مغلقاً الباب خلفه متقدماً بضع خطواتٍ للأمام ونظره مرتكز على ذلك الرجل وحديثه لـ (ديم): آنسة (ديم) لم يكن من المفترض ..

(ديم) مقاطعة: لم يكن من المفترض أن تدخل عليّ هكذا فجأة دون استئذان..

(كمال) حانياً رأسه كاظماً غيظه مخفياً سخطه: أعتذر .. لكن هذا الرجل يجب أن يرحل





(ديم) مشيرة بسبابتها للباب: أنت من يجب أن يرحل .. ولا تعد حتى أستدعيك

(كمال) رافعاً نظره: لكن ..

(ديم): لا تجادلني يا (كمال) ...

(كمال): حاضر

خرج كمال وأغلق الباب خلفه..

حينها التفتت (ديم) نحو الرجل وقالت: أعتذر عما حدث ..

- لا أبداً .. أنا متفهم لذلك .. وفي الحقيقة مسرور لهذا النوع من الحراسة المحيطة بك

(ديم): بسبب ما أخبرتني به للتو؟

- نعم

(ديم): وماذا تريد مني هذه المرأة؟ .. وكيف علمت أنت بنواياها؟





- ليست هي من يريد .. هي مجرد خادمة .. وأنا أراقبها منذ فترة كي أحمي الناس من شرورها وهي الآن تلبي رغبات من يأمرها .. قوة أكبر منها .. لها رغبة بكِ وبجسدكِ .. شيء ليس من عالمنا

(ديم): ما زلت لا أفهم .. لمَ لم يتمكن ذلك الشيء على حد قولك من أخذي مباشرة؟ .. لمَ يحتاج لتلك المرأة؟

- لا يقدر .. هالتكِ تمنع الكثير من الاقتراب منكِ.. حتى أنا الآن أعاني من مجرد الجلوس أمامكِ فقط ولن أستطيع البقاء أكثر قبل أن يفقد الرادع مفعوله أفقد أنا و وعي

(ديم): رادع؟

رفع الرجل كفه من على ظهر (ليو) مشيراً لخاتمٍ بفص أسود على خنصره: هذا .. بدونه كان سيغمى عليّ بمجرد دخولي من الباب

(ديم) وهي لا تزال تائهة: لا أفهم شيئاً

- المهم أن تفهمي وتدركي أن ذلك الشيء لا يزال راغباً بكِ وأن تلك المرأة لن تتوقف عن محاولة تلبية رغبته لأنها قطعت عهداً له بذلك وأخذت المقابل وأنا هنا لأحذركِ من الثقة بأحد حتى أعالج الموضوع من ناحيتكِ ومن ناحيتها

(ديم): عذراً على السؤال لكن لمَ تهتم ؟





- لأني وبشكل غير مباشر مسؤول عما حدث لك..

(ديم): كيف..؟

- تلك المرأة التي تتعقبك وتحاول إيذاءكِ..

(ديم): ما بها؟

- كانت أحد تلاميذي ..

(ديم): هل أنت معلم؟

- نعم .. لكن ليس بالشكل الذي تتصورينه

(ديم): وهل كل تلاميذك يلحقون الأذى بالناس؟

- هي فقط من شذ عن القطيع .. حتى الآن..

(ديم): هل لي سؤال آخر؟

- تفضلي

(ديم): كيف علمت بكل ما حدث معي .. وكيف عرفت مكان إقامتي؟

- الأمر ليس بتلك الصعوبة وكما أخبرتكِ أنا أراقبها منذ أن اختارت طريقها المظلم وكنت على علمٍ مسبق بأنها تراقب فتاة ذات هالة نجمية كي تكسر حصانتها لتسهيل الاستحواذ عليها لكني في الحقيقة





لم أربط بينكِ وبينها إلا بعد ما تواصلتِ مع تلميذي الآخر ودار بينكما حوار عن إحساسك بأن هناك من يراقبكِ ويحاول النيل منكِ .. لقد كان مهتمّاً بالحوار معكِ لوقتٍ طويل دون أن يثير قلقكِ لأنه أحس بالخطر المهدد لكِ وكان يشعر كذلك بالذنب لعجزه عن تقديم المساعدة وقتها.. هنا ربطت بأنكِ الشخص نفسه الذي كانت هي تسعى وراءه وسعيت لتحديد مكانك لكني تأخرت فيما يبدو

(ديم): أنا لم أتواصل مع أحد .. الشخص الوحيد الذي كنت إلى حدٍّ ما أثق به كان (حاتم) وكما ترى على وجهي ما حل نتيجة تلك الثقة .. كنت حمقاء لكني لم أعد كذلك بعد الآن

- منح الثقة لمن لا يستحق ليس حماقة..

(ديم): ماذا تسميها إذاً؟

- درساً .. درساً لن نتعلمه قبل أن نجربه بأنفسنا

(ديم): وأنا تعلمت الدرس جيداً ..

- المهم أن تثقي بما سوف أطلبه منكِ الآن وتنفذيه قبل أن أرحل

(ديم): طلب ماذا؟

- يجب أن تجدي لهذا القط الجميل منزلاً آخر





(ديم) بانفعال: (ليو)؟! .. مستحيل أن أتخلى عنه! .. أنا لا أشعر بالراحة إلا بقربه

- أعرف .. لكن ذلك كان وما زال على حساب صحته

(ديم): أنا أعتني به جيداً

- لم يكن ذلك قصدي .. قطكِ من النوع الراصد وهذا النوع يتأثر سلباً بمن يحملون هالة مثل هالتكِ خاصة من هم في عمره .. ومع الوقت سيمرض .. وسيموت

(ديم) وهي مصدومة: لِمِ تقول ذلك؟! .. إلى ماذا ترمي ؟!

- أنا لن أجبركِ على شيء .. أنا فقط هنا لأخبركِ بالحقيقة والاختيار في النهاية متروك لكِ .. قطك لا يزال صغيراً بالرغم من كبر جسده ومع الوقت ستلاحظين عليه سلوكيات غريبة مثل لعقه للأرض بشكل متكرر أو النظر لكِ بشكل مطول دون أن يرمش والوقوف لمدة طويلة عند النوافذ وهو يحدق بالخارج وهذه هي المرحلة الأولى

(ديم) بنبرة مهمومة لأنها بالفعل بدأت تلاحظ تلك الأمور على (ليو): والمرحلة الثانية ..؟

- سيبدأ شعره بالتساقط وسوف تجدينه تدريجياً يتناول طعاماً أكثر وكأنه مصاب بالنهم وفجأة سيتوقف تماماً عن ذلك ولن يأكل حتى





يموت جوعاً .. هذا النوع من القطط لا يستطيع التعايش مع الهالات النجمية

(ديم): نجمية؟

- نعم

(ديم): ولمَ لا يرحل إن كان يشعر بكل ذلك؟ .. لم يبق معي؟

- لا يستطيع .. الحب أحياناً يجعلنا نبقى مع من نحب حتى وإن كان على حساب صحتنا وفي الغالب هو لا يعرف أن ما يحدث معه بسببكِ

صمتت (ديم) متأملة قطها في حجر الرجل وبدأت تدمع لأنها أدركت أنه كان يقول الحقيقة ..

رفع الرجل القط من حجره واضعاً إياه على الأرض:

«يجب أن أذهب الآن ..»

(ديم): انتظر .. هل يمكنك أخذه معك؟ .. لن أثق بأحد غيرك ليعتني به





- كنت أظنكِ لم تعودي تثقين بأحد

(ديم): لكني أثق بك ..

وقف الرجل يتأمل القط السمين لثوانٍ وخلال ذلك حدثته (ديم) قائلة:

«أعرف أنك لست مضطرّاً لكن أرجوك .. خذه معك ..»

حمل الرجل (ليو) بين ذراعيه وقال: حسناً .. لكُ ذلك ..

(ديم): شكراً أنا ممتنة لك

- هل لديكِ أي تعليمات خاصة به تريدين قولها لي؟

(ديم) بصوت راجف بالعبرات: لا شيء سوى أنه يحب الأكل كثيراً ..

- لن نواجه مشكلة بهذا الخصوص..

نهضت (ديم) ومسحت على رأس القط الأبيض السمين وقالت بصوت مختنق بالدموع: «وداعاً (ليو) ..»





حدق القط الأبيض السمين بها بأعينه الصفراء الواسعة ولعق راحة يدها قبل أن يسير الرجل نحو الباب ويرحل ..

دخل (كمال) بعده مباشرة ووجد (ديم) تغطي وجهها بكفيها وهي تجهش بالبكاء فتجهم وقال: «ماذا فعل بكِ ذلك الوغد؟!»

(ديم) مبعدة يديها مستنشقة دموعها: لم يفعل شيئاً ..

(كمال) متقدماً نحوها بعبوس ونبرة مستاءة: ولمَ أخذ (ليو) معه؟!

(ديم) سارحة أمامها بوجه محمر وأعين لامعة: انسَ الموضوع يا (كمال) ..

جلس (كمال) أمامها وقال بهدوء وهو يمد لها منديلاً: «يمكنكِ أن تخبريني بأي شيء ..»

(ديم) بوجه شاحب: أخبرني أنت .. أين كنت طيلة النهار؟

(كمال) بشيء من الارتباك: كنت في مهمة سريعة

(ديم) ماسحة أنفها بالمنديل: لم أكن أعرف أن أبي يوكل لك مهام أخرى غير حراستي..

(كمال): لم يكن سبب خروجي بعيداً عن ذلك

(ديم): لم أفهم ..





(كمال): من الصعب أن أشرح لكِ

(ديم) مشيرة بسبابتها لنقطة حمراء لاحظتها على ياقة (كمال): ما هذه؟

(كمال) ماسحاً بكفه على رقبته: لا شيء .. مجرد أثر من غدائي الذي تناولته اليوم

(ديم): هل تتوقع مني تصديق ذلك؟

نهض (كمال) وقبل أن يرحل من أمامها قال:

«لا .. فأنا مجرد حارس موكل بحمايتكِ ..»

(ديم) رافعة نظرها نحو قامته المنتصبة أمامها قائلة:

«أنت لست مجرد حارس لي ..»

(كمال): ماذا تقصدين؟

(ديم) تحيد بنظرها تجاه كرة صغيرة على الأرض بجانبها كان (ليو) يحب اللعب بها: «سمعت أبي مرة عندما كنت صغيرة يتحدث عنك ويصفك لأحد أصدقائه حينما علق على حرصك وعنايتك بي..»





(كمال): وماذا قال؟

(ديم) معيدة نظرها لوجه (كمال): «قال بالحرف ..: إنك لا تملك ذرة عطف في قلبك وإنك لست ملاكاً، بل شيطانٌ ظالمٌ..

(كمال): وما رأيكِ أنت ..؟

(ديم) ملتقطة الكرة الصغيرة: أعتقد أنك خسرت شيئاً لا تستطيع استعادته .. أو ربما أنت من تسبب بتلك الخسارة وتلوم نفسك وتحاسبها بالقسوة على نفسك .. أنت لست شيطاناً .. بل ملاك خسر أجنحته .. «ملاكي الحارس» ..

(كمال) قبل أن يهم بالرحيل:

«لا يوجد ملائكة هنا غيرك يا آنسة (ديم) ..»

لم ترد (ديم) واكتفت بمراقبته وهو يسير خروجاً من المكان..









العقرب والحرباء



أمام المنزل وتحت المطل المنهمر ..

وقف (كمال) يتأمل الحي المظلم ..
اقترب منه أحد الحراس باسطاً مظلة فوق رأسه..
حينما رآه يخرج علبة سجائره ويهم بإشعال واحدة..
دخن كمال سيجارته بصمت وخلال ذلك كان هناك من يراقبه من بعيد..

شابة وصلت للتو وقفت متوارية خلف شجرة برفقة فتاة أخرى تصغرها بالعمر ودار بينهما حوار في الظلام الذي ينكسر من وقت لآخر بضوء البرق وصوت الرعد..

- هل أنت واثقة من أن ذلك الضخم هو من أخذهم يا (ريناد)؟





(ريناد): نعم يا معلمة أنا واثقة.. لقد رأيته بأم عيني وهو يضعهم في صندوق سيارته ويقودها بعيداً عن هنا ليلة الحادث
- كان ذلك منذ عدة أسابيع.. لا فائدة من انتظارهم إذاً..
(ريناد): هل سنبحث عنهم؟
- بالطبع لا.. فليذهبوا للجحيم.. الحمقى فشلوا في مهمتهم ولم يتمكنوا من تنفيذ ما طلبته منهم والفتاة الرقيقة لا تزال تتنفس والحراسة الآن مشددة عليها والاقتراب منها أصبح أصعب وشبه مستحيل.. لقد عقدوا الأمر بغبائهم وخيبتهم
(ريناد): فلنتراجع إذاً قبل أن يلاحظنا أحد ولننسَ أمرها ونبحث عن غيرها
نظرت الشابة بوجه صارم وأعين محدقة بمنزل (ديم): لا يمكنني ذلك.. هي مطلوبة بعينها ويجب أن نجد طريقة لتقديمها لمن طلبها وإلا فسوف يقتص مني
(ريناد): ولمَ يريدها هي بالذات؟
استدارت الشابة نحو الفتاة المتسائلة بوجه وشعر مبتلين وعين مر خلالها ندبة طويلة وقالت: «لأنها غنيمة فريدة ومميزة وهي الثمن مقابل ما طلبته منه.. »
(ريناد): ولمَ لا يذهب بنفسه ويغنمها؟ .. لمَ يحتاجنا؟
أعادت ذات الندبة نظرها للمنزل وتحديداً لـ (كمال) الواقف تحت المطر يدخن سيجارته وقالت:
«الشياطين العاشقة لا تستطيع الاقتراب من أصحاب الهالات النجمية قبل أن يقوم أحد بتعكيرها وإضعافها وتلك الفتاة هالتها قوية





جداً .. حتى أنا لا أستطيع الاقتراب منها بسهولة وإلا لما اعتمدت على غيري لتحقيق ذلك وقمت بالمهمة بنفسي..»

(ريناد): وماذا سنفعل الآن؟

- نعود أدراجنا ونرسم خطة جديدة.. يجب أن أتخلص من ذلك الحارس الضخم الملاصق لها قبل أن أفكر بالاقتراب منها.. لقد قطعت عهداً مع ذلك الشيطان بتقديمها له وتسهيل استحواذه عليها ولا يمكنني التراجع عن عهدي معه وإلا فسأدفع ثمناً باهظاً

رحلت الاثنتان من المكان تاركتين (كمال) عند مدخل المنزل يدخن سيجارته..

(الحارس) الممسك بالمظلة السوداء فوق رأس (كمال): سيدي.. هل تنتظر أحداً؟

(كمال) نافخاً سحابة من الدخان: اسمع.. أرسل مجموعة للسرداب كي ينظفوه

تغيرت معالم الحارس لكنه فهم المقصد وقال وهو يمد المظلة السوداء لـ (كمال): حاضر.. سأرسل الرجل في الحال.. هل تأمرنا بشيء آخر؟

(كمال) رامياً بالسيجارة تحت قدمه ملتقطاً عصا المظلة من يد الحارس:

«فقط نظفوا السرداب بشكل جيد .. لقد أحدثت بعض الفوضى ..»





حنى الحارس رأسه بوجه مرتعب وملامح تملؤها الرهبة من (كمال) وسار نحو الرجال الواقفين واختار مجموعة منهم وركبوا سيارة ورحلوا..





صباح ذلك اليوم...








مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الشيطان الحارس



مكان مكتوم بهواءٍ ثقيل وكثيف ذي رائحة عفنة ..

هدوء صارخ وسط عتمة.. يكسره صوت متكرر

لارتطام قطرات من الماء على سطح ما..

الفتاة معصوبة الأعين تزفر وتئن بصوت خفيض..

شاب معصوب الأعين هو الآخر ينادي عليها: ..

«كيف حالكِ اليوم يا (رهام) ..؟»

أجابت (رهام) من وسط عتمتها وقالت: «هل أنت جاد يا (حاتم) في سؤالك؟ .. ألا ترى أين نحن؟ .. ومنذ متى؟»

(حاتم) بإرهاق وتعب: ماذا عنكِ يا (غدير)؟ .. هل ما زلتِ على قيد الحياة؟





(غدير): بصوتٍ مبحوح وأعين معصوبة: بالكاد..

(رهام): إلى متى سيبقينا ذلك المجنون هنا؟

(حاتم): لم أعد أذكر كم أمضينا هنا من الأساس

(غدير): عدة أسابيع..

صوت ارتطام قطعة معدنية على الأرض..

(غدير) برعب: ما هذا الصوت؟.. هل عاد؟!

(حاتم): هذا أنا.. كالعادة أحاول التحرر من قيودي.. لقد سقطت إحدى الصواميل المعدنية أخيراً.. لو استمررت فسوف أتمكن من ..

(رهام) مقاطعة: لا تهدر طاقتك.. نحن مثبتون بإحكام للجدار من معاصمنا وكواحلنا بقيود حديدية سميكة ولن نفلت منها مها حاولنا

(غدير) بأنفاس متقطعة: أنا أريد الموت فقط..

(حاتم): لا تقولي هذا الكلام ولا تيأسي!

(رهام): المكان رائحته لا تطاق

(حاتم): ماذا تتوقعين ونحن نقضي حاجتنا في مكاننا؟





(غدير): لقد تأخر.. أريده أن يأتي ليطعمنا

(رهام): هو بالعادة لا يغيب أكثر من ثلاثة أيام

(حاتم): هل أصبحتما تتطلعان لزيارته؟

(غدير): لم يعد يهمني..

(رهام): أتساءل من يكون ..؟

(حاتم): ألا تذكرينه؟.. لقد رأيناه من قبل

(رهام): متى..؟

(حاتم): حينما كنا نراقب منزل (ديم).. إنه حارسها الذي كان يرافقها في كل مكان خلال فترة التحاقها بالجامعة بأيامها الأولى قبل أن أقنعها بالتخلص منه لأني أوهمتها بأن وجوده حولها يضايق أصحابنا وقد يجعلها محط سخريتهم لكن من الواضح أنه لم يقتنع وإلا لما عاد تلك الليلة وضربنا وأفقدنا الوعي وجلبنا إلى هنا

(رهام): تذكرته الآن.. أعتقد أنه رحل بالفعل لكن عودته تلك الليلة كانت لسبب ما

(حاتم): أو مصادفة سيئة.. أيّاً كان ذلك السبب فلا فائدة من معرفته الآن ..





(غدير) وهي تسعل: لمَ لم يقتلنا فحسب؟.. ماذا يريد منا؟

(حاتم): تذكرت شيئاً آخر في الفترة التي كنا نراقب فيها منزلها مع المعلمة

(رهام): ما هو ..؟

(حاتم): حذرتنا منه ومن الاقتراب منها حينما يكون موجوداً حولها.. قالت بأن عينيه ميتتان

(غدير): ميتتان؟.. ماذا عنت بهذا الكلام؟

(حاتم): لا أعرف.. كل ما أعرفه أنها أمرتني ببذل كل ما أستطيع لإبعاده عنها قبل أن نقدم على خطتنا

(رهام): خطتنا التي فشلت وستجر سخط المعلمة علينا

(حاتم): سنتعامل مع السخط المعلمة لاحقاً بعد ما نجد طريقة للخروج من هنا

صوت صرير حاد يأتي من الأعلى..

باب يفتح..

يتبعه ضوء أبيض خافت تزايد تدريجياً..

كاشفاً عن درجات سلم في أقصى المكان..





يهبط الظلام مجدداً مع إغلاق الباب..

يصمت الثلاثة في ترقب وهم يسمعون صوت خطوات..

تنزل ببطء على السلالم..

تفتح الأنوار بالمكان.. لكن الثلاثة لا يزالون في ظلمة..

ينقشع الظلام عن كل واحد منهم..

حينما تزال عصب أعينهم..

ويرونه ..

حل (كمال) عقدة ربطة عنقه قليلاً ثم سار نحو طاولة صغيرة استقرت فوقها الحقيبة السوداء التي جلبها الثلاثة معهم سابقاً لمنزل (ديم) ووضع الدب الصغير الذي أحضره ه معه بجانب الحقيبة ثم خلع بدلته السوداء وعلقها مع ربطة عنقه على أحد المعاليق الموزعة على الجدار وقام بتشمير أكمام قميصه الأبيض كاشفاً عن وشمين كبيرين على ساعده الأيمن أحدهما جناح أبيض والآخر أسود. قام بعدها بخلع نظارته الطبية ووضعها على سطح الطاولة ومد يده وسحب الحقيبة من مقبضها وفتحها متأملاً محتواها لثوانٍ ثم قال بصوته الغليظ:





«مجموعة مميزة.. أملك مثيلات لها.. »

(رهام) بنبرة خالطها الغضب والتوتر: إلى متى ستبقينا هنا؟!

(كمال) ملتقطاً كماشة حديدية كبيرة مقلباً إياها أمام وجهه: لا تقلقوا .. هذا آخر يوم لكم هنا

(حاتم) بالعاً ريقه: لقد أسأت فهمنا.. نحن لم نكن ننوي إيذاء أحد

(كمال) سائراً باتجاه (حاتم) المقيد للجدران: لكني أنوي إيذاءكم..

(غدير) بصوت تحشرج بالعبرات: أرجوك! .. لا تفعل!

(حاتم) بعد ما وقف (كمال) أمامه: يكفي!.. نحن نادمون على ما فعلنا صدقني.. اصفح عنا!

(رهام) بتحدٍّ: لا تتوسلا إليه فهو يحاول إخافتنا فقط!

(كمال) موجهاً نظره لـ (رهام) باسماً واضعاً يده على جبين (حاتم) دافعاً برأسه للخلف: أنا هنا فقط لأسقيكم الألم..

(غدير) صارخة: أخبرنا فقط ماذا تريد منا!





(حاتم) بأنفاس متسارعة وعيناه منصبتان على الكماشة المقتربة من وجهه: أرجوك!! .. تمهل!!

بدأ (كمال) بنزع أسنان (حاتم) واحدة تلو الأخرى وسط صراخ الجميع وبعد ما أزال صف أسنانه الأمامية قال:

«الأسنان الداخلية تكون أصعب وأشد إيلاماً فكن مستعداً أيها الشاب!»

لم يتمكن (حاتم) من الرد عليه بسبب فمه الممتلئ بالدماء وحالة الدوخان التي أصابته جراء الألم والنزف الغزير لكن (رهام) نادت عليه متوسلة:

«لست مضطراً لذلك.. سنخبرك بكل شيء!»

توقف (كمال) عما كان يقوم به وعاد للحقيبة وأخرج منها سكيناً حادة طويلة وأمسكها بيده الملطخة بدماء (حاتم) ورفع نصلها عالياً ثم قال:

« هيا تحدثي.. قبل أن أصل إليكِ..»





بخطوات بطيئة سار (كمال) ممسكاً بالسكين بيد والكماشة باليد الأخرى متوجهاً نحو (رهام) التي فزعت وقالت:

«نحن لا علاقة لنا بشيء! .. كنا نقوم بمهمة فقط!»

وقف (كمال) أمامها وقال بهدوء: مهمة ماذا؟.. ومن طلب منكم ذلك..؟

(رهام) منزلة رأسها وبشيء من التردد: الـ .. المعلمة..

(كمال) واضعاً رأس السكين تحت ذقنها رافعاً نظرها إليه محدقاً في عينيها: «أريد أسماء..»

(حاتم) وهو يسعل دماً وبصوت متقطع ومتلعثم: لا تخبريه بشيء! .. المعلمة لن ترحمكِ!

(كمال) صارخاً بسخط وهو يشير لـ (حاتم) بالسكين: أنا من لن يرحمكم أيها الأحمق!

سار بعدها نحو الشاب الغارق في دمائه وأنزل نصل السكين ا الكبيرة على قمة رأسه وشقه كالبطيخة..





هنا فقدت الفتاتان السيطرة على أنفسهما وبدأتا تصرخ خان بشكل هستيري وتهزان أجسادهما بقوة في محاولة للتخلص من القيود الحديدية المثبتة لها لكن دون جدوى ليعود (كمال) ويقف مجدداً أمام (رهام) المنهارة ويكرر عليها السؤال:

«من هي هذه المعلمة؟.. ولمَ طلبت منكم اقتحام منزل الآنسة (ديم) وفعل ما فعلتموه بها؟»

(رهام) بهدوء وهي تنظر للسكين المرتكزة في رأس (حاتم) المفلوق:

«لن أخبرك بشيء.. فأنا في كل الأحوال ميتة.. »

أمسك (كمال) بيده الضخمة وجه (رهام) ودفع برأسها بقوة للخلف ليرتطم بالجدار ثم ضغط ليباعد بين فكيها مقرباً الكماشة من فمها وهو يقول: «إذاً فلا فائدة منكِ..»

(غدير) بانفعال وهي تبكي: أنا سأخبرك!!.. فقط اتركها!!

(كمال) موجهاً نظره باتجاه (غدير) وهو لا يزال ممسكاً بوجه (رهام) والكماشة على طرف شفتها: «تحدثي..»

أخذت (رهام) تهز رأسها بعنف في إشارة لـ (غدير) بعدم التحدث لكنها لم تستجب لها وقالت بصوت مشبع بالألم والقهر:



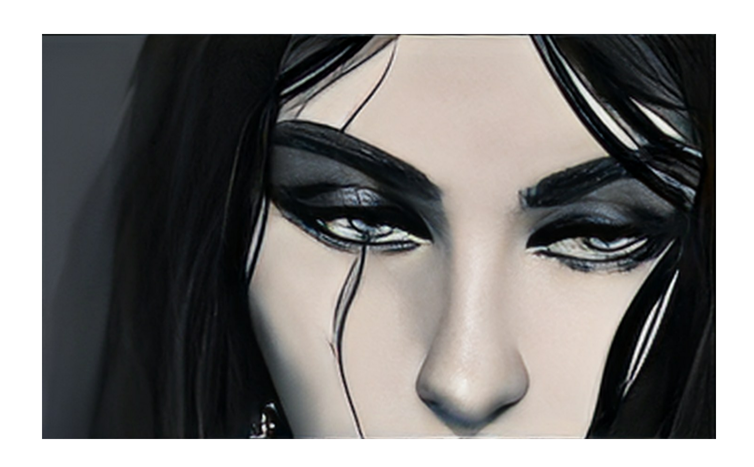


«(هاجر)!.. المعلمة (هاجر) هي من طلبت منا أن نعكر هالة الفتاة ونكسر حصانتها كي يتمكن المستحوذ من الدخول عليها!.. هي من دربتنا على الطريقة والمسؤولة عما حدث وهي من تستحق العقاب!»

صمت (كال) لثوانٍ متفكراً ثم أعاد نظره لوجه (رهام) وقام بنزع لسانها من لجامه وهي تصرخ وتنتفض..

رمى بلسانها على الأرض مع الكماشة ثم سار نحو (غدير) التي كاد أن يغمى عليها من هول ما رأته وقال بعد ما وضع قبضته على عنقها ضاغطاً بقوة:

«أخبريني الآن.. من (هاجر) هذه؟.. وأين أجدها؟»







ليلة ماطرة



الروائي

أسامة المسلم



تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

ميساء طه.
أشرف غالب.








من المحزن ألا تعرف قيمة نفسك إلا عندما يخبرك شخص
آخر بذلك.. أحيانًا نفقد الإحساس بذواتنا ولا نعي أهمية
وجودنا حتى يثار ذلك الاهتمام من الغير.. من أشخاص قد لا
نعرفهم .. أو أحداث لم نتوقعها أو نسعَ لها..
9 786038 403778
adabarabic7
services_book
servicesbook1
www.adab-book.com
t.me/twinkling4